الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

الرقم التسلسلي: .....

العلاقات الجزائرية المغربية خلال العهد العثماني من 1519م حتّى نهاية القرن 19 م.

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

من اعداد الطالبة:
- فايد مريم

تحت إشراف الأستاذ:
خير عامر

لجنة المناقشة:

أ.د/سميرالعيداني	جامعة محمد بوضياف المسيلة	رئيســا
أ/عامر خير	جامعة محمد بوضياف المسيلة	مشرفا ومقررا
د/ قويدر عاشور	جامعة محمد بوضياف المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية:2025/2024

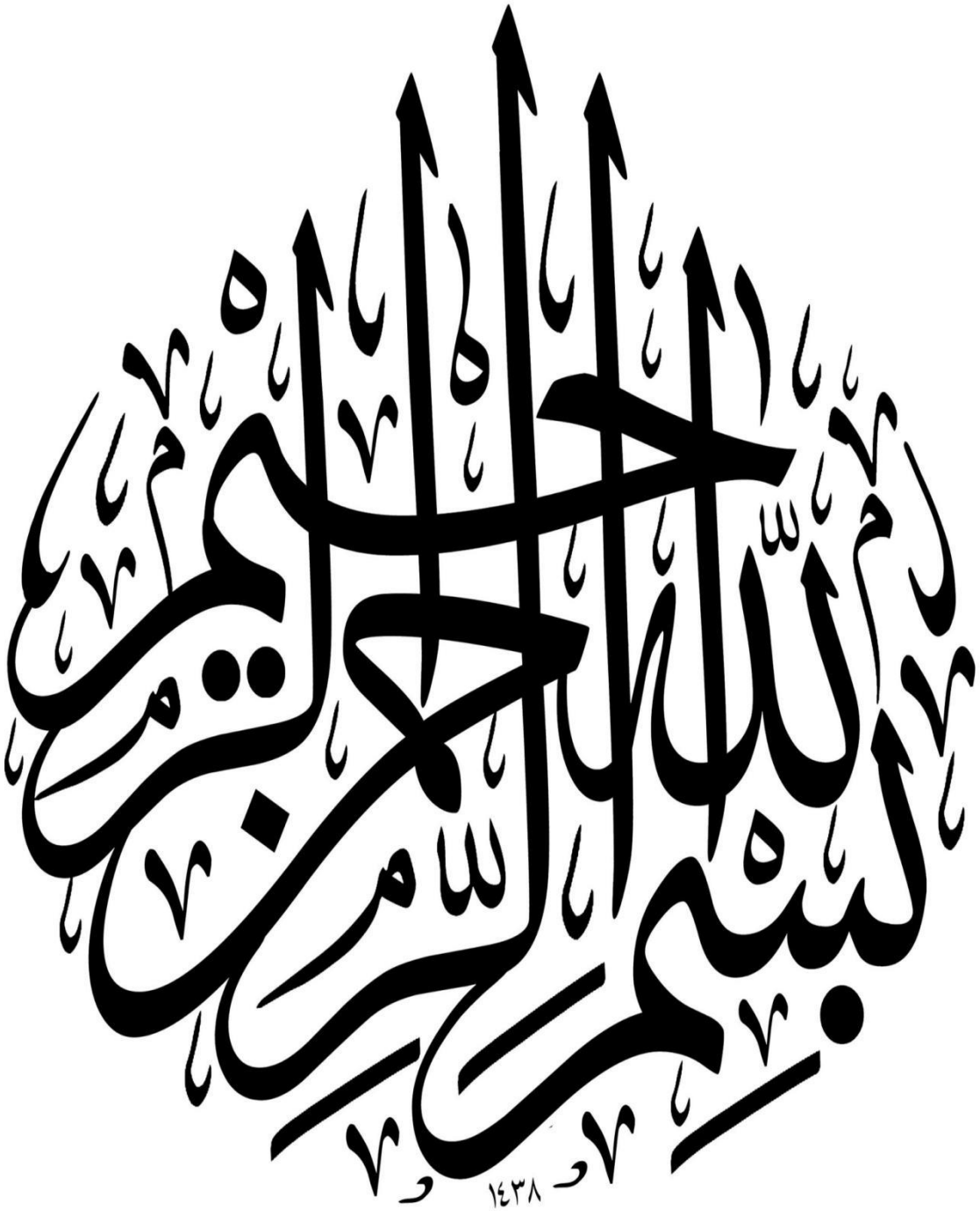
بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

شكر وعرفان

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان لسعادة الدكتور خير عامر،

الذي كان لي خير مشرف، وخير موجّه، وخير داعم خلال رحلة هذا البحث

لقد كانت بصماتكم واضحة في كل مرحلة،

لمن التوجيه العلمي الدقيق، إلى الدعم المعنوي المستمر فكنتم نبراسًا أنار لي الطريق ودافعًا حقيقيًا للاستمرار والتميّز .

ولكنني أرجو أن تصلكم مشاعري الصادقة

ملؤها التقدير والامتنان،

ودعائي أن يجزيكم الله عني خير الجزاء،

وأن يبارك في علمكم وجهودكم وعطائكم.

فكنتم نبراسًا أنار لي الطريق،

ودافعًا حقيقيًا للاستمرار والتميّز.

كل كلمات الشكر لا توفيكم حقكم

ولكنني أرجو أن تصلكم مشاعري الصادقة

ملؤها التقدير والامتنان،

إهداء

.إلى من كان لوجودهم بعد الله الفضل الأعظم إلى أمي الحبيبة، يا نبع الحنان ومصدر الدعاء،

وإلى أبي العزيز، يا من غرست في قلبي القوة والثبات أنحني حبًا وامتنانًا أمام عطائكما الذي لا يُقاس.

وإلى زوجي الغالي، رفيق دربي، وسندي في كل لحظة ضعف وقوة، من كنتَ لي طمأنينةً في التعب،

وابتسامة في وجه التحديات لك شكري العميق وحبي الذي لا يفيك حقك

إلى أخي رياض، يا أخي وسندي، يا من كنتَ دومًا قريبًا من القلب والدرب

إلى رائد، أخو زوجي، شكراً لوجودك الطيب ودعمك الصادق الذي كان له أثر لا يُنسى

إلى أطفالي الأعزاء رتال، ومصعب، ووسيم، ونسيم أنتم الحلم الذي يتجدّد كل يوم، والبهجة التي

ترافقني في كل لحظة من أجلكم صبرت، ومن حبكم استمددت قوتي

وإلى يما، حفظها الله وأطال في عمرها

إلى أجدادي الراحلين، رحمكم الله، جعل الله مثواكم في الجنة، فما زالت بركة دعائكم ترافقني.

إلى أخواتي الغاليات وأبنائهم اللهم اجعل بيننا مودة لاتزول وحبا خالصا لايخيب

وإلى كل قريب وبعيد شاركني الدعاء، أو فرحني بكلمة،

أهديكم هذا التخرج، فهو ثمرة حبكم، ودعمكم، ووجودكم في حياتي

هذا النجاح ليس نجاحي وحدي...

بل هونجاحكم جميعكم... في كل خطوة كنتم فيها معي

قائمة المختصرات

المعنى	الرمز
الطبعة	ط
الجزء	ج
الصفحة	ص
مجلد	مج
دون تاريخ	د.ت
تحقيق	تح
ترجمة	تر
توفي	ت
المؤسسة الوطنية للكتاب	م.و.ك

مقدمة

مقدمة

شكّلت العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى محورا رئيسيا في تاريخ المغرب العربي، نظراً لما حفلت به من محطات توتر وتحالف، وتفاعلات سياسية واقتصادية وثقافية عميقة، ومنذ أن رسّخت الدولة العثمانية وجودها في الجزائر عام 1519م، دخلت المنطقة المغاربية طوراً جديداً من إعادة تشكيل التوازنات الإقليمية، حيث تحوّلت الجزائر إلى قاعدة استراتيجية هامة للعثمانيين على ضفاف المتوسط، تتمتع بنفوذ سياسي وعسكري متنامٍ، بينما سعى المغرب الأقصى، بقيادة سلالات شريفة متعاقبة كالسعديين والعلويين، إلى الحفاظ على استقلاله السياسي والديني، والتموقع كقوة مغاربية مستقلة عن الهيمنة العثمانية.

وقد ارتبطت العلاقات بين الطرفين بسياقات متعددة، اتسمت تارة بالتنافس الحاد، لا سيما في مناطق الحدود (كواحة توات وتيديكلت)، وتارة أخرى بالتقارب المصلحي في مواجهة الأخطار الخارجية المشتركة، مثل التهديدات الإيبيرية ممثلة في الإسبان والبرتغاليين. ورغم الطابع العام الذي غلب عليه التوتر، خاصة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، إلا أن هذه العلاقات لم تكن سلبية على الدوام، إذ عرفت فترات من التهدئة والتبادل التجاري، إلى جانب تلاقح ثقافي وتداخل اجتماعي بين سكان البلدين، مدفوعين بعوامل القرب الجغرافي، ووحدة اللغة والدين، وتشابه التقاليد.

في هذا السياق، تأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على طبيعة العلاقات الجزائرية–المغربية خلال الفترة الممتدة من سنة 1519م، أي منذ بداية الوجود العثماني في الجزائر، إلى غاية سنة 1799م، وهي مرحلة زاخرة بالأحداث والوقائع التي تبرز تعددية أوجه التفاعل بين البلدين. وتركّز الدراسة على البعدين السياسي والعسكري، وخاصة الحروب الحدودية والمعاهدات والوساطات، مع التطرّق كذلك إلى البعدين الاقتصادي والثقافي، لما لهما من أهمية في فهم العلاقة خارج الصراع المباشر.

الإطار المنهجي للدراسة

الإطار الزماني

يمتد الإطار الزمني للدراسة من سنة **1519م** تاريخ بداية السيطرة العثمانية على الجزائر ويتواصل إلى نهاية القرن 19 الميلادي، حيث شهدت هذه المرحلة استقراراً نسبياً في طبيعة العلاقات بين الجزائر والمغرب، خصوصاً مع بروز تهديدات أوروبية جديدة وتغيّر موازين القوى الإقليمية.

الإطار المكاني

يشمل المجال المغاربي بوجه عام، وكان التركيز على إقليمي الجزائر والمغرب الأقصى بما في ذلك المناطق الحدودية المتنازع عليها.

دوافع اختيار الموضوع

جاء اختيار هذا الموضوع نتيجة لعدة اعتبارات علمية وتاريخية،أبرزها الأهمية المحورية التي احتلتها الجزائر والمغرب الأقصى في تشكيل ملامح المغرب العربي الحديث، كما أن العلاقات بين البلدين خلال هذه المرحلة لم تُدرس دائماً في سياق مقارن يجمع بين أبعاد السياسة والاقتصاد والثقافة، بل غالباً ما عولجت من زاوية عسكرية أو جغرافية فقط إضافة إلى ذلك، فإن كثرة التحولات التي عرفتها المنطقة، وخصوصاً في ظل التهديد الأوروبي المتزايد، تستدعي العودة إلى تحليل جذور العلاقات بين الدولتين المغاربيتين لفهم طبيعة تحالفاتهما، وصراعاتهما، وأوجه التأثير المتبادل بينهما.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

- تحليل تطور العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال الحقبة العثمانية.

- توضيح طبيعة التفاعلات الاقتصادية ومدى تأثيرها في استقرار أو توتر العلاقات الثنائية.
- استكشاف أوجه التقارب الثقافي والديني والاجتماعي، لا سيما من خلال الزوايا والحركات العلمية.
- فهم دور العوامل الخارجية، وخاصة الأوروبية، في صياغة معالم العلاقة بين الطرفين.

إشكالية الدراسة

تتمحور الإشكالية الرئيسة لهذه الدراسة حول السؤال التالي :

ما طبيعة العلاقات بين الجزائر في ظل الحكم العثماني المباشر لها مع أسرتي الوطاسيين والسعديين بالمغرب الأقصى ، وبما تميزت تلك العلاقات أثناء فترة حكم العلويين بالمغرب الأقصى مع الجزائر حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ؟

وتتفرع عن هذا السؤال جملة من التساؤلات الفرعية منها:

- ما طبيعة الصراع الذي ساد بين الجانبين؟
- كيف تأثرت العلاقات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية بهذه التوترات؟
- وما دور القوى الأجنبية خاصة الإسبان والبرتغال، في العلاقات الجزائرية المغربية؟

المنهج المتبع

اعتمدت الدراسة منهجًا تاريخيًا تحليليًا، يقوم على تتبع الأحداث وتفسيرها في سياقها الزمني والسياسي.

كما استخدم المنهج النقدي في التعامل مع المصادر، سواء العثمانية أو المغربية أو الأوروبية، من أجل الوقوف على التحيزات وإبراز التباينات في الروايات.

الهيكل العام للدراسة

تتوزع الدراسة على ثلاثة فصول رئيسة، تسبقها مقدمة، كما يلي:

الفصل التمهيدي: يعرض الأوضاع السياسية والاجتماعية في الجزائر والمغرب الأقصى قبل سنة 1519 م، مع التركيز على نهاية العهد الزياني بالجزائر، وبداية تشكّل الدولة السعدية في المغرب الأقصى، إلى جانب وضعية القوى المحلية والتهديد الإيبيري.

الفصل الأول: يتناول هذا الفصل طبيعة العلاقات الرسمية بين الجزائر والمغرب الأقصى من خلال الحروب الحدودية (تلمسان، وهران، توات)، والتحالفات المؤقتة، والمعاهدات المبرمة، إضافة إلى دراسة المبادلات التجارية (الحبوب، الذهب، القوافل الصحراوية) وأثرها على التوازنات بين الجانبين.

الفصل الثاني: يركز على التبادل الثقافي والعلمي بين البلدين، مع إبراز دور الزوايا والطرق الصوفية في تيسير الهجرات العلمية والدينية، ودور فاس وتلمسان كمراكز علمية،إلى جانب أثر العلاقات الأسرية والقبلية العابرة للحدود في تشكيل تقارب اجتماعي مستمر رغم التوترات السياسية.

الدراسات السابقة

من بين أهم الأعمال التي تناولت هذا الموضوع نذكر:

- **من المصادر الجزائرية:**
  - أحمد توفيق المدني، *الجزائر في العهد العثماني*، وهو من أبرز المراجع التي تناولت الوجود العثماني في الجزائر من زاوية سياسية وعسكرية، مع رصد لتأثيراته على الداخل الجزائري والعلاقات مع الجوار المغاربي.

- **من المصادر المغربية:**
  - إبراهيم حركات، *المغرب عبر التاريخ*، الذي تناول تطور الدولة المغربية عبر عصورها المختلفة، مع اهتمام خاص بدور السعديين والعلويين في مواجهة التهديدات العثمانية والأوروبية.

- محمد القبلي، *تاريخ المغرب الأقصى*، الذي ركز على الوضع السياسي والاجتماعي للمغرب، وسعى إلى إبراز خصوصية التجربة المغربية في استقلالها عن الهيمنة العثمانية.
- **من المصادر الثقافية:**
- أبو القاسم سعد الله، *تاريخ الجزائر الثقافي*، وهو مرجع أساسي لفهم البعد الثقافي والفكري، حيث تناول دور الزوايا، والحياة العلمية، والتأثيرات المتبادلة بين الجزائر والمغرب.
- **من المصادر الأوروبية المعاصرة:**
- Diego de Haedo، *Topographia e Historia General de Argel*، يقدم وصفاً دقيقاً لمدينة الجزائر وحياتها السياسية والعسكرية في القرن السادس عشر، من منظور أوروبي أسير لدى العثمانيين.
- Père Dan، *Histoire de Barbarie et de ses corsaires*، يعرض نظرة أوروبية حول الجزائر وعلاقاتها بالبحر المتوسط، مع تركيز على نشاط corsaires (القراصنة) ودورهم في الصراع مع القوى الإيبيرية.

نقد المصادر والمراجع:

تكمن أهمية هذه المراجع في تنوع أصولها بين الجزائرية، المغربية، والأوروبية، ما يتيح للباحثة فرصة المقارنة بين رؤى متعددة. لكنّ هذا التنوع نفسه يطرح تحديات تتعلق بالتحيزات والمنهجية، يمكن تلخيصها فيما يلي:

- **المصادر الجزائرية** مثل :*الجزائر في العهد العثماني* لأحمد توفيق المدني: ركزت على إبراز الدور الإيجابي للوجود العثماني في حماية الجزائر من التوسع الأوروبي، لكنها أغفلت أحياناً الجوانب السلبية المرتبطة بالتدخل العثماني في الشؤون الداخلية.
- **المصادر المغربية** مثل :*المغرب عبر التاريخ* لإبراهيم حركات و*تاريخ المغرب الأقصى* لمحمد القبلي: قدمت رؤية وطنية تبرز استقلالية المغرب عن التأثير العثماني، وهو ما يجعلها تميل إلى تضخيم الصراع وتقليل فرص التعاون.

- **المصادر الثقافية***تاريخ الجزائر الثقافي* لأبي القاسم سعد الله: ركزت بشكل خاص على الأبعاد الفكرية والدينية، مع إبراز دور الزوايا والطرق الصوفية، لكنها لم تتوسع كثيراً في الجانب السياسي–العسكري للعلاقات الجزائرية–المغربية.
- **المصادر الأوروبية** مثلHaedo و Père Dan ذات قيمة توثيقية مهمة لأنها تقدم شهادات معاصرة، لكنها تعكس غالباً نظرة أسيرة للتحيز الأوروبي، إذ تصوّر الجزائر والمغرب كمراكز "قرصنة" وخطر على الملاحة المتوسطية، أكثر من كونهما دولتين ذواتي سيادة وعلاقات سياسية معقدة.

لذلك، اقتضى التعامل مع هذه المصادر توظيف المنهج النقدي، عبر مقارنتها ببعضها البعض، وتحليل خلفيات مؤلفيها، للوصول إلى قراءة أكثر موضوعية وشمولية للعلاقات الجزائرية–المغربية في الفترة المدروسة.

الصعوبات المعترضة

واجهت الدراسة عدة صعوبات، منها ندرة الوثائق المحلية الأصلية المتعلقة بتلك الفترة، لا سيما في الجانب الاقتصادي.

كما برزت صعوبة في توحيد الروايات التاريخية المتباينة، إذ تختلف قراءة الأحداث بين المصادر الجزائرية والمغربية والأوروبية.

بالإضافة إلى صعوبات لغوية في فهم بعض المصطلحات العثمانية القديمة أو نصوص الرحالة الأوروبيين التي تتطلب تحقيقاً دقيقاً.

الفصل الأول

أوضاع الجزائر والمغرب الأقصى قبل 1519 م

-المبحث الأول: الوضع السياسي في الجزائر

1_ تفكك الدولة الزيانية

2_ السيطرة الاسبانية على المواقع الاسبانية

3_تحالف الحكام مع الأسبان

_المبحث الثاني: الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى

1_الفراغ السياسي و التوسع الاسباني

2_الفراغ الوطاسي السعدي

3_ الصراع السعدي الوطاسي في عهد احمد الاعرج السعدي

4 _ التحديات الداخلية

المبحث الأول: الوضع السياسي في الجزائر

1 – تفكك الدولة الزيانية:

انهارت الدولة الزيانية التي كانت تحكم تلمسان نتيجة لصراعات داخلية مستمرة بين الأمراء والعائلات الحاكمة، مما أدى إلى تفكك الهيكل السياسي المركزي وحدوث فراغ سلطوي،حيث كانت الصراعات على النفوذ وتوزيع الثروات والقوة العسكرية سبباً رئيسياً في تآكل الوحدة السياسية، هذا التنافس الداخلي أدى إلى انقسام الدولة إلى فصائل متعددة تتصارع فيما بينها، ما أسهم في ضعف مركزية الحكم وخلق حالة من عدم الاستقرار[1].

أدى هذا التفكك إلى ترك فراغ كبير في السلطة، حيث لم يعد هناك كيان موحد قادر على التصدي للأخطارالخارجية ، وانعكس ذلك على قدرة الدولة على حماية أراضيها ومواقعها الاستراتيجية، مما جعلها عرضة للتدخلات القوى الأوروبية الطامعة في النفوذ على السواحل المتوسطية.

2- السيطرة الإسبانية على المواقع الساحلية:

استغل الأسبان هذا الضعف السياسي الذي خلفه تفكك الدولة الزيانية، وقاموا بتوسيع نفوذهم على الساحل الجزائري عبر استيلائهم على مواقع استراتيجية منها:

أ- المرسى الكبير (1505م):

كان المرسى الكبير موقعًا حيوياً على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط، واستيلاء الإسبان عليه عام 1505م شكل خطوة استراتيجية لتعزيز وجودهم العسكري والتجاري في المنطقة، فاعتبر البلاط الملكي الإسباني ميناء وهران أهم مرسى لتجارة إفريقيا كونه كان أفضل مرفإ على الساحل الإفريقي، حيث تم تحويله إلى قاعدة عسكرية تخدممصالح اسبانيا

(1)الغنيمي عبد الفتاح، موسوعة تاريخ المغرب العربي، مج 5، مكتبة مدبولي، القاهرة ، 1994 ، ص 132 .

في مراقبة حركة السفن والأنشطة البحرية، وتأمين طرق التجارة والاتصال بين أوروبا وشمال إفريقيا[1].

ب-مدن أخرى كبرى مثل بجاية وتلمسان ووهران :

لم يقتصر التدخل الإسباني على المرسى الكبير فقط، بل شمل استيلاءً على مواقع أخرى مثل مدينة بجاية وتلمسان، مما سمح لهم بتأسيس شبكة من القواعد العسكرية التي ساعدتهم على فرض هيمنتهم على السواحل وضمان مسارات التجارة البحرية، كما مهد ذلك لشن حملات عسكرية ضد قوى أخرى في المنطقة.

في إطار سياسة ملاحقة الأندلسيين الفارين من جحيم القتل والتعذيب ومحاكم التفتيش1، قام الأسبان بفرض التبعية على البلاط الأميري في تلمسان ،وهذا الامر جعل العلماء في حاضرتي وهران وبجاية يدعون الناس إلى الجهاد ،كما أنهم شاركوا بأنفسهم في المعركة، بينما أهل مدينة الجزائر وفي مقدمتهم زعيمهم سالم التومي، ومعه أمراء تنس، دلس، شرشال، ومستغانم، فضلوا الخضوع لقائد الحملة الإسبانية بيدرو دي نافارو من دون مقاومة، وقبلوا بدفع إتاوة سنوية للطاغية حقنًا لدمائهم[2].

وقد لخص أعيان مدينة الجزائر وعلماؤها ومشايخها في أول رسالة رفعوها إلى السلطان سليم الأول في أوائل ذي القعدة 925 هـ، الموافق 3 نوفمبر 1519م، ما عانوه من تهجمات الأسبان عليهم وسيطرتهم على بلادهم بما يلي: «**لقد جرت حوادث جليلة ولها أخبار طويلة في نصر المؤمنين وهزيمة أعداء الله. ومفادها أن طائفة الطاغية لما استولت**

1- BERBRUGGER Adrien, Reprise d'Oran par les espagnols, en 1732, R.A, vol. 8, année 1864, pp 14 – 16 .

(2)- – عبد الوهاب شلالي ، " الخطر الصليبي الاسباني على الدولة الجزائرية ودور العثمانيين في التصدي له" ، **مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية**، العدد الثاني عشر ، جامعة تبسة ، 2016، ص 15.

1_محاكم التفتيش: مؤسسة كنيسية كاثوليكية لمحاكمة كل من تتهمه بالمخالفات العقيدة المسيحية .

على بلاد الأندلس، انتقلوا منها إلى قلعة وهران للاعتداء على سائر البلاد، غير أنه بعد استيلائهم على بجاية وطرابلس، بقيت الجزائر (بين الكفار) كالنقطة في وسط الدائرة، وبقينا لذلك حيارى متأسفين، يحفنا الكفار من كل جانب، ولكن تمسكنا بحبل الله المتين واتكلنا عليه. غير أن طائفة الطاغية شددت علينا الطلب هادفة إدخالنا تحت ذمته (سلطته)، وقد نظرنا في الأمر ورأينا أن المحن والشدائد تشتد، وأن الضرورة تقضي بحقن دماء أنفسنا وخوفًا على حريمنا وأموالنا وأولادنا من السبي والتفريق، تصالحنا مع أهل التثليث وإنا لله وإنا إليه راجعون. وبعد هذه المضايقة والحصار دخل الكفار إلى وهران وبجاية وطرابلس وكان قصدهم أن يأتوا بسفنهم ويستولون علينا ويأسروننا ويشتتون شملنا فجأة>>[1].

3- تحالف الحكام المحليين مع الأسبان:

في ظل الاضطرابات الداخلية والتدهور الذي شهدته الدولة الزيانية، لجأ بعض الحكام المحليين إلى التحالف مع الأسبان كوسيلة لحماية مصالحهم الشخصية والحفاظ على بعض أشكال السلطة على المستوى المحلي:

أ-آليات التحالف:

تباينت أساليب التحالف بين الحكام المحليين والأسبان؛وكثيرا ما كان أمراء بنو زيان يستعينون بالحكام الأسبان في مدينة وهران المحتلة ضد إخوتهم، وأبناء عمومتهم المتحالفين مع العثمانيين، للجلوس على كرسي السلطة في تلمسان. وفي كثير من المرات دارت مواجهات بين الفريقين، انتصر فيها الفريق المتحالف مع العثمانيين، بالرغم من تفوق الخصم الآخر في العدة والعتاد، ففي سنة 1542م استعان محمد السادس الزياني بحاكم

(1)- التمومي عبد الجليل، " أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519" ، **المجلة التاريخية المغاربية**، العدد 5، تونس، جانفي 1976 ، ص ص 119 – 120.

وهران الكونت ألكوديت، لاسترجاع عرشه من أخيه أحمد الثالث حليف العثمانييننوبالرغم من تفاوت في عدد قوات الخصمين، حيث كانت القوة الإسبانية تتألف من 12ألف جندي أسباني، تدعمه بعض القبائل الجزائرية الموالية للأمير المخلوع، في مقابل أربع مائة مجاهد من العثمانيين، و8 آلاف من حلفائهم من قبائل المنطقة، إلا أن الغلبة كانت للفريق الثاني[1].

ب- التنازلات مقابل الحماية:

كان التحالف مع الأسبان يعني في كثير من الأحيان التخلي عن بعض درجات الاستقلال السياسي، إذ أصبح الحكام المحليون يتنازلون عن السيطرة المطلقة على شؤون بلادهم مقابل الحصول على حماية عسكرية وتأمين مصالحهم الاقتصادية، هذا النوع من التحالفات ساهم في تعزيز الوجود الإسباني على الساحل، إذ جعل الحكام المحليين شركاء في تطبيق السياسات الإسبانية في المنطقة، مما أدى إلى تراجع دور الدولة المحلية الموحدة وصعود نفوذ القوى الأوروبية في الشؤون الداخلية.

ج_دعوة الإخوين بربروس للدفاع عن الجزائر

شهدت الجزائر في مطلع القرن السادس عشر تصاعداً خطيراً في وتيرة الهجمات الإسبانية على سواحلها، لا سيما بعد سقوط غرناطة (1492م) وسيطرة الإسبان على عدة مراكز ساحلية مثل المرسى الكبير ووهران. دفع هذا الخطر الداهم أعيان مدينة الجزائر إلى البحث عن قوى عسكرية قادرة على صد العدوان الإسباني، فاتجهت أنظارهم إلى الأخوين عروج وخير الدين بربروس، اللذين كان لهما حضور بحري قوي في شرق البلاد، تحديداً في جيجل، وسبق لهما أن خاضا عدة معارك ناجحة ضد الإسبان في بجاية وتونس.[2]

(1)- - خليل ساحلي أوغلي، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني، بحوث ووثائق وقوانين، اسطنبول، منظمة المؤتمر الإسلامي، إرسيكا،2000 ص.319.

(2)- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي- العهد العثماني- ، ط 4، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000م، ص 519.

أرسل سكان الجزائر وفداً رسمياً إلى جيجل في عام 1516م، يدعو الأخوين بربروس للمجيء إلى المدينة لتحريرها من الاحتلال الإسباني والدفاع عنها. وقد رحب عروج بالدعوة ورأى فيها فرصة لتوسيع نفوذه ومواصلة مشروعه الجهادي في البحر المتوسط. فجهز أسطوله المكون من أربع عشرة سفينة وحوالي خمسمائة مجاهد، معظمهم من المجاهدين الأندلسيين والترك، وتوجّه فوراً نحو خليج الجزائر، حيث فرض حصاراً بحرياً محكماً على قلعة "البنيون" الإسبانية المقامة على صخرة مقابلة للمدينة، مانعاً عنها المؤن والدعم العسكري.[1]

كان لهذا التدخل أثر كبير في تغيير موازين القوى بالمنطقة، حيث توحدت الجهود البحرية للإخوة بربروس مع القوة الشعبية المحلية، مما أتاح صدّ التهديد الإسباني بشكل فعال. كما أسس هذا الحدث البداية الفعلية للتحالف بين الجزائر والقوة العثمانية الناشئة، واعتُبر مقدّمة لتكريس الحكم العثماني لاحقاً في المنطقة.[2]

د_القضاء على سلطة سالم التومي وتثبيت حكم عروج بربروس

بعد دخول عروج بربروس إلى مدينة الجزائر سنة 1516م بدعوة من أهلها، لم تكن الأمور مستقرة تماماً، إذ كان على رأس المدينة آنذاك القاضي سالم التومي، الذي مثّل السلطة المحلية الاسمية، رغم ضعفه الواضح أمام التهديد الإسباني. في البداية، قبل سالم التومي التعاون مع عروج، بل واستقبله بحفاوة، غير أن سرعان ما ظهرت الخلافات بين

(1)– محمد بوشنافي، "مساهمة عروج بن يعقوب في مواجهة الخطر الإسباني على المغرب الأوسط (1512–1519م)"، **مجلة عصور**، العدد 4–5، جامعة وهران 1 "أحمد بن بلة "في الجزائر، ديسمبر 2003 / جوان 2004م، ص 271.

(2)– أحمد توفيق المدني، الجزائر في ظل الحكم العثماني، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص ص 212– 213.

الطرفين، خاصة بعدما لاحظ سالم تعاظم نفوذ عروج وتحكمه في شؤون المدينة، متجاوزاً السلطات المحلية.[1]

بدأ التوتر يتصاعد، خصوصاً بعد أن اتُّهم سالم بالتخابر مع الإسبان، ما دفع عروج إلى اتخاذ قرار جذري. فقد أمر في أواخر سنة 1516م باعتقاله ثم القضاء عليه سرًّا، ليُعلن بعدها نفسه "حاكماً باسم السلطان العثماني" في الجزائر. وقد برّر هذا التصرف بأنه ضرورة لحماية البلاد من الخيانة ومنع عودة الإسبان إلى المدينة عبر وكلائهم المحليين [2]. ومنذ تلك اللحظة، بدأ عروج يُؤسس لحكم عسكري قوي يرتكز على الدعم البحري، والمجاهدين الأندلسيين، والعناصر التركية، مع تهميش واضح للسلطة المحلية التقليدية.

أثار هذا التحول ردود فعل متباينة؛ فبينما رحبت به بعض الفئات التي كانت ترى في عروج زعيماً قادراً على كسر الهيمنة الإسبانية، عارضته عناصر أخرى خشيت من فقدان امتيازاتها أو كانت مرتبطة بالسلطة القديمة. إلا أن عروج تمكن من تثبيت حكمه مستفيداً من نجاحه العسكري وشعبيته المتزايدة في صفوف المجاهدين والسكان المحليين الذين رأوا فيه درعاً واقياً من الخطر الصليبي المتصاعد.[3]

ه_فتح مدينة تلمسان ومواجهة الإسبان بها

بعد أن تمكَّن عروج بربروس من بسط سيطرته على مدينة الجزائر، تطلع إلى توسيع نفوذه نحو المدن الغربية من البلاد، خصوصاً تلمسان، نظراً لموقعها الإستراتيجي وأهميتها السياسية، كونها كانت تحت سلطة الحفصيين بشكل اسمي، لكنها في الواقع كانت عرضة للتدخل الإسباني عبر حلفائهم المحليين [4]. فالوضع في تلمسان حينها كان مضطرباً،

(1)- نفسه ، ص ص 213- 214.

(2)- محمد بوشنافي، المرجع السابق ، ص 273.

(3)- محمود شاكر، المرجع السابق، ص 520.

(4)- بوزياني لبصير، الجزائر في القرن السادس عشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982. ص 47.

خصوصاً بعد اغتيال السلطان أبو زيد على يد أحد أقاربه المدعو "أبو حمو موسى"، الذي استنجد بالإسبان ودخل معهم في حلف مكشوف، مما زاد من استياء السكان المحليين والفقهاء.[1]

في سنة 1517م، قاد عروج حملة عسكرية على تلمسان بطلب من فقهائها وسكانها الذين ضاقوا ذرعاً بالتدخل الإسباني وفساد حكامهم المحليين. دخل عروج المدينة دون مقاومة كبيرة، وقتل "أبو حمو موسى"، ونصَّب أحد أفراد العائلة الزيانية، المدعو "أبو عبد الله محمد"، سلطاناً تابعاً له، في محاولة منه لإضفاء الشرعية على تدخله [2]. وبهذا أصبحت تلمسان ولاية تتبع سلطة عروج، وأصبح بذلك يسيطر على شريط واسع من الساحل وحتى الداخل.

إلا أن هذا التوسع أثار غضب إسبانيا، التي سارعت إلى الرد. ففي صيف 1519م، جهزت حملة عسكرية قوية بقيادة "دييغو دي فيرا" حاكم وهران، والتي واجهت قوات عروج قرب مدينة تلمسان. ورغم المقاومة الشرسة، إلا أن الكفة مالت لصالح الإسبان بفعل تفوقهم العددي والتقني، ما أدى إلى مقتل عروج مع عدد من رفاقه بعد مقاومة بطولية [3]. وكانت هذه نهاية مأساوية لمرحلة قصيرة لكنها حاسمة في تأسيس التواجد العثماني الفعلي في شمال إفريقيا.

مقتل عروج لم يكن نهاية المشروع العثماني في المنطقة، بل كان بداية لبروز شقيقه خير الدين بربروس كقائد جديد، أكثر تنظيماً ودهاءً سياسيًا، سيكمل المشوار على أسس أكثر رسوخًا.

(1)- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق ، ص ص 215-216.

(2)- محمد بوشنافي، المرجع السابق ، ص 274.

(3)- محمود شاكر، المرجع السابق ، ص ص 522-523.

و_خلافة خير الدين لعروج وتنظيم الحكم العثماني بالجزائر

بعد مقتل عروج بربروس سنة 1519م، تولّى شقيقه الأصغر **خير الدين بربروس** زمام القيادة، ليواصل مشروع بسط النفوذ العثماني في الجزائر، ولكن بأسلوب أكثر تنظيماً ودهاءً سياسياً. وتميّزت هذه المرحلة بميل خير الدين إلى تثبيت السلطة وتحصين المدن الساحلية، وتدعيم علاقاته بالباب العالي في إسطنبول، إدراكًا منه لأهمية التحالف الرسمي مع الدولة العثمانية في مواجهة المدّ الإسباني المتزايد.[1]

في هذا السياق، أرسل خير الدين وفداً إلى السلطان العثماني **سليم الأول** يطلب فيه رسميًا إدخال الجزائر تحت راية الدولة العثمانية، فاستجاب السلطان لطلبه، وعينه واليًا على الجزائر، ومنحه الدعم العسكري والأسطول الحربي، ما جعل الوجود العثماني بالجزائر رسميًا وشرعيًا منذ سنة 1519م [2]، وشكّلت هذه الخطوة نقطة تحوّل كبيرة، إذ تحولت الجزائر من مشروع جهادي محلي بقيادة الإخوة بربروس إلى ولاية عثمانية رسمية تتبع الباب العالي إداريًا وعسكريًا.

على المستوى الداخلي، عمل خير الدين على تنظيم الجهاز الإداري والعسكري، مستفيداً من النموذج العثماني. فأدخل نظام الديوان، وعيّن قضاة وفق الشريعة الإسلامية، وجنّد الإنكشارية، وبدأ بتوزيع الأراضي على المجاهدين العثمانيين والقبائل المتحالفة، مما خلق بنية سلطوية جديدة في البلاد تختلف عما كان سائداً في العهد الزياني [3]، كما أعاد تحصين مدينة الجزائر، وبنى الأسطول البحري انطلاقًا من مينائها، مما جعل منها قاعدة عسكرية بحرية قوية.

(1)- بوزياني لبصير، المرجع السابق ، ص 52.

(2)- محمود شاكر، المرجع السابق ، ص 525.

(3)- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق ، ص ص 220-222.

وكان من أبرز إنجازاته التصدي لمحاولات الإسبان المتكررة للسيطرة على الجزائر، خصوصاً حملاتهم على السواحل الجزائرية. فقد صدّ الهجمات الإسبانية على مدن مثل شرشال وتنس ودلس، وحقق عدة انتصارات بحرية، منها غارات على السواحل الإسبانية نفسها [1]، وأصبح خير الدين بذلك رمزاً للمقاومة الإسلامية ضد التوسع الأوروبي، وذاع صيته في العالم الإسلامي والمسيحي على حد سواء.

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى

1- الفراغ السياسي والتوسع الإسباني:

بعد انهيار الدولة المرينية في أواخر القرن الخامس عشر (1465م) ، واجه المغرب مرحلة حرجة اتسمت بانعدام السلطة الموحدة والتفكك الداخلي. فقد أدت الصراعات المتواصلة بين الطبقات الحاكمة وتنازع الممالك المحلية إلى فقدان الدولة قدرتها على فرض سيطرتها على مختلف مناطقها سواء الداخلية أو الخارجية. هذا الوضع المُضطرب أسفر عن خلق فراغ سياسي حقيقي، حيث لم تعد هناك سلطة مركزية قادرة على تنظيم الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للبلاد[2].

لقد أدت هذه الحالة إلى انعدام الاستقرار، مما جعل المغرب عرضة للتدخلات الخارجية، إذ سعت القوى الأوروبية، ولا سيما إسبانيا والبرتغال، لاستغلال هذا الضعف وإدخال مصالحها في شؤون المنطقة. فمع تراجع الدولة المرينية، أصبح من الممكن لهذه القوى الاستيلاء على مناطق استراتيجية واستخدامها كقواعد للنفوذ والتأثير في شمال

(1)- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، المجلد/الجزء الثاني، بيروت :دار العصر الحديث، الطبعة: 1410 هـ / 1990-1992 م ، ص135.

(2)- محمد القبلي، تاريخ المغرب – تحيين وتركيب، ط1، مطبعة عكاظ الجديدة، الرباط، 2011، ص 245.

إفريقيا[1]،فتوسع البرتغاليون واحتلوا البريجة سنة 907 هـ/1502م، وبنوا حصنًا جديدًا في المدينة سنة 912هـ/ 1506م مكان مازاغان (الجديدة)[2]، وموكادور (الصويرة) سنة 911 هـ / 1506 م،وآسفي سنة 912 هـ / 1507 م، وآزمور سنة 919 هـ / 1513 م، والمعمورة سنة 921 هـ / 1515 م[3]، أما الإسبان فاحتلوا مليلة سنة 902 هـ / 1497 م،ثم احتلوا غساسة سنة 911 هـ / 1506 م، واستولوا على الحجرة (المعروفة أيضًا بمدينة البدس) سنة 914 هـ / 1508 م.

تنازع السعديون والوطاسيون على الحكم حيث شهد المغرب في تلك الفترة صراعات داخلية بين العائلات والأسر الحاكمة. كان التنافس الشديد بين السعديين والوطاسيين على السيطرة على الحكم من أبرز مظاهر هذا الانقسام، مما أدى إلى ضعف الوحدة الوطنية وصعوبة تنظيم مقاومة موحدة ضد التدخلات الخارجية[4].

2- الصراع الوطاسي السعدي :

تحولت نشاط السعديين من الجهاد إلى طموح دولة كما سبقتها في ذلك العديد من الدول، يعود أصل السعديين إلى أرض الحجاز حسبما ذكرته كتب التاريخ، كما زعموا أنهم أشراف من ولد محمد النفس الزكية، ويعود نسبهم إلى القائم بالله، فهو:" محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن علي ، فقد جاء أهل سجلماسة بالمولى الحسن بن القاسم بن محمد بن أبي القاسم و جاء أهل درعة بالمغرب من شبه الجزيرة العربية من ينبع بالمولى زيدان بن أحمد، وقد لقبوا بالسعديين طعنا في نسبهم بأنهم ليسوا بأشراف وإنما من بني سعد بني بكر

(1)- عبد الهادي التازي، *تاريخ العلاقات المغربية الإيبيرية*، ج2، الرباط: منشورات أكاديمية المملكة المغربية، 1989، ص 67.

(2)- إبراهيم حركات،المغرب عبر التاريخ، ط1،ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1978، ص 199.

(3)- محمد القبلي: المرجع السابق، ص 323.

(4)- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 112.

إحدى قبائل العرب، وكان أول ملوك السعديين بدرعة أبو عبد الله محمد القائم بالله، فبعد انشغال الوطاسيين بقتال النصارى في ثغور الشمال وتراجع نفوذهم بالجنوب ببلاد سوس فطلبت قبائل سوس من أن يكون لها أمير تقاتل معه النصارى فاجتمع الأمر على مبايعة الأمير أبا عبد الله القائم سنة (916ه /1510 م) [1].

3- الصراع السعدي الوطاسي في عهد أحمد الأعرج السعدي:

لما عاد أحمد الأعرج وشقيقه محمد السعدي من الحج إلى فاس تفرغ أحمد الأعرج للدراسة في جامع القرويين ومحمد الشيخ لتربية وتأديب ولي العهد الوطاسي أحمد وكلفهما الوطاسي بإعانته في الجهاد، الأمر الذي منحهم السمعة الطيبة في سائر بلاد المغرب،وبرز دور أحمد الأعرج وشقيقه الأصغر في إقليم سوس حيث تمكنا من استرجاععدة حصون في المغربمن يد البرتغاليين .

كانت التحركات الأولى لأحمد الأعرج الذي خلف والده قد بدأت تثير شكوك الوطاسيين وتزايدت هذه الشكوك خاصة بعد دخول السعديين مراكش، النقطة التي شكل منعطفا جديدا في العلاقات بين الوطاسيين والسعديين، فقد عقد أحمد الأعرج سلسلة من التحالفات مع الحركات الصوفية، كما تحالف مع مرابطي الريف والجزوليين ومع أمراء هنتانة الذين كانوا يسيطرون على جزء من الأطلس، وتوسط الجازوليين بين أحمد الأعرج وأمير مراكش السابق ناصر بن شنتوف الهنتاني وتمكن الطرفان من الاتفاق ضد الوطاسيين، ولما تنبه الوطاسي للمكائد التي تحاك ضده قرر مهاجمة فاس وحاصرها فتصدى له المرابط الشيخ الغزواني مما اضطره لفك الحصار بسبب ثورة أولاد عمه في فاس وعاد مسرعا،

(1)- الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج6، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955،ج،5 ص .8

بعد إخماد ثورة فاس عاد للصراع مع السعديين عام 1528م واشتبك معهم في معركة أنماي التي انتهت بالصلح بين الطرفان [1] .

بداية من عام 1537م تحرك أحمد الأعرج نحو فاس، لكن الوطاسيين اعترضوا طريقه واشتبكوا معه على ضفاف نهر وادي العبيد سنة(943ه1537/م) واستطاع الانتصار عليهم لكن هذا الصراع كان يخدم مصلحة القوى الأجنبية فقرر العلماء التدخل واقتسام البلاد بينهما (أنظر الملحق رقم 01 الصفحة 59) فأقروا بالحكم للسعديين من تادلا إلى السوس وللوطاسيين من تادلا إلى المغرب الأوسط [2].

- ظهور إمارات محلية متنافسة في الشمال حيث لم يكن الصراع مقتصراً على القوى المركزية فقط، بل ظهر في مناطق الشمال إمارات محلية تنافست فيما بينها على النفوذ والسلطة، مما عمّق حالة الفوضى وضعف القدرة على مواجهة التحديات الخارجية.

- غياب سلطة مركزية موحدة أدى التنازع الداخلي إلى تآكل السلطة المركزية، فأصبح من الصعب على الدولة المغربية آنذاك فرض سياساتها الموحدة أو تنظيم دفاع مشترك يحمي البلاد من التدخلات الأجنبية[3].

- انتظمت العلاقات التجارية بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي، فكان الشمال الأفريقي نقطة عبور للسلع والمنتجات القادمة من الشرق و جنوب الصحراء، كانت هذه السلع غالبا ما يقتنيها التجار الأوروبيون قدموا من جنوة وايطاليا بصفة عامة، كما أعطي للسفن الأوروبية حرية الدخول إلى الموانئ الرئيسية على طول الشريط الساحلي خاصة الموانئ

(1)- عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم, ج9، مطبعة فضالة، الدار البيضاء، 19887 ص ص 84-85.

(2)-محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تح: هوداس، د ط، مطبعة بردين، انجى، 1888م،ص.21

(3)-أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص 89.

الجزائرية وكان لها امتيازات وتسهيلات في شراء المئونة والتزود بالماء وكل ما يلزم ويشمل ذلك توفير الحماية للسفن مقابل دفع الرسوم الجمركية واحتفظ العنصر المحلي بمهنة الوساطة بين التجار المحليين والأوروبيين .عندما تصل السفينة تفرغ حمولتها ويتكفل المكتب الجمركي بتسجيل السلعة واسم صاحبها شريطة دفع الرسوم الجمركية التي كان مقدارها خمسة بالمائة، أما عن تجارة المجوهرات والأحجار الكريمة فكانت تباع للحكام مباشرة وتستثنى من الضرائب، كما كانت هنالك استثناءات في بعض الأحيان فيما يتعلق بتقديم تسهيلات للسفن التجار المسيحيين لتجاوز العجز الذي قد يحصل في السوق من نقص في المواد الأساسية في الصناعة، "فلقد كانت الدول الأوروبية تزود المغرب بالمعادن الثمينة التي لم تكن تستعمل فقط في صك العملة ولكن في صنع الحلي التي كانت العروس المغربية تستعملها في تزيين نفسها بها قبل الزواج وتلبسها طيلة حياتها كمهر لها "، فكان الحرفيون المغاربة يقتنون من التجارالأوروبيين[1] الصبغة النباتية والمركبات الكيميائية كالألمنيوم والبوتاسيوم والكبريت.

أما عن مدينة الجزائر فقد كانت تصدر إلى أوروبا أنواع كثير من السلع كالعبيد والخيول والسمك المقدد والمصنوعات الجلدية والملح والشمع والحبوب والمرجان وزيت الزيتون، "...لقد كانت دباغة بجاية مطلوبة جدا في وسط الاسكافيين الإيطاليين باسم اسكورزا دي بوجياbuggiea di Iscorza، وذكرت بهذا الاسم في تسجيلات تعريفية لكل من بيزا والبندقية[2] منذ القرن الرابع عشر. "...أما في المغرب فلقد تأثرت أوضاعه الاقتصادية بالحروب الداخلية التي تهددت سواحله، ففرضت عليه نظام شبه مغلق الأمر الذي زاد من مساوئ الحالة الداخلية للبلاد فعمت الفتن والاضطرابات وأصبح من الصعب

(1)- سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر،1985 ، ص ص 23- 24.

(2)- نفسه، ص ص25 – 29.

وجود طرق آمنة ومنظمة لا تتعرض للسلب والنهب، مما ساعد على التجزئة الداخلية وجعل الوحدات السياسية تعيش في نظام شبه اكتفائي، أما عن المدن الساحلية فقد تعاملت مع الأجانب من البرتغال و الأوروبيين من الرحالة والمستكشفين ، ومن المدن الساحلية التي كانت تشهد تجارتها رواجا مع الدول الأوروبية مدينة سلا، فلقد كان السلاويين يشترون من السفن الأوروبية والمواد المصنعة وكانت في مكانتها التجارية تنافس فاس ومراكش [1].

4- التحديات الداخلية

على الرغم من محاولات التآزر مع العثمانيين، فإن الانقسامات والصراعات الداخلية ما زالت تشكل عائقًا أمام نجاح هذه المبادرات. فقد أعاقت الفوضى السياسية وعدم الثقة بين الفصائل المحلية قدرة الحكام على توحيد صفوفهم، مما حال دون تكوين جبهة موحدة تدعم التحالفات الخارجية.

5_التحالف مع الإسبان:

بعد فشل الحملة التوسعية على حساب إيالة الجزائر العثمانية ومقتل ابن محمد الحران، لجأ محمد الشيخ إلى تبني سياسة "عدو عدوي صديقي"، حيث بدأ في التواصل مع القوى المعادية للدولة العثمانية، خاصةً الإسبان.

وقد وصل التحالف بين السعديين والإسبان إلى قدمه، مما أسفر عن إقامة مشاريع مشتركة تهدف لطرد الأتراك العثمانيين من الجزائر، إلا أن هذا التحالف زاد من توتر العلاقات الجزائرية السعدية في الوقت ذاته [2]

(1)- كينيث براون، " تاريخ مدينة سلا1000- 1800م " ، تر: محمد جيدة، أناس لعل ، **مجلة أمل للتاريخ والثقافة والمجتمع**، العدد الرابع عشر، دار البيضاء، المغرب، 2001م، ص.70.

(2)- بن خروف عمار، العلاقات بين الجزائر والمغرب، 923هـ1069-هـ 1517/م1659-م، رسالة ماجستير، لنيل شهادة في التاريخ الحديث، جامعة دمشق، سوريا، 1983، ص 52.

في ظل تزايد الضغوط العثمانية على الأراضي المغربية، سعى محمد الشيخ إلى إقامة أسطول بحري قوي يمكنه مواجهة التوغل التركي، إذ اعتبر الجانب البحري وسيلة حيوية لاسترجاع الثغور المحتلة وضمان استقلال المملكة. إلا أن المشروع البحري واجه تحديات جمة، من بينها الحاجة إلى جهد ومهارات عالية ووقت طويل لبناء الأسطول، وهو الأمر الذي لم يتمكن السعديون من تحقيقه على النحو المطلوب. وفي هذا السياق، يشير أحمد بوشرب إلى أن المشروع البحري لم ينجح لعدة اعتبارات، أبرزها قلة الاهتمام والموارد مقارنة بالجانب البري [1]

من ناحية أخرى، كان لمحاوري محمد الشيخ دور مهم في جمع المعلومات عن تحركات العثمانيين داخل الأراضي المغربية. فقد اعتمد على شبكة من الجواسيس الذين كانوا يرسلون تقارير دورية عن أنشطة العثمانيين في الجزائر، مما أتاح له الفرصة لاتخاذ إجراءات سريعة للتصدي للاختراقات العسكرية التي كانت تحدث دون علمه، رغم أن بعض هذه المعلومات لم تُستغل بشكل فعال نظراً للظروف الحرجة التي كانت تمر بها الدولة السعدية.[2]

بعد انتصار المغاربة في معركة وادي المخازن واعتلاء أحمد المنصور العرش، وبوصول الوفود المهنئة له ومنها الوفد الذي أرسله السلطان العثماني مراد الثالث، لم يُراعِ المنصور مقامه، مما أغضب السلطان العثماني مراد الثالث. وفي سنة 988هـ / 1580م تقرب المولى أحمد المنصور من الإسبان، وتثاقل في الرد على عرض السلطان العثماني في التحالف ضد الإسبان وتحرير الأندلس، مما جعل السلطان العثماني يكلف العلج علي بتوجيه حملة إلى المغرب سنة 989هـ / 1581م، لوضع حد

(1)–أحمد بوشرب ، البحر في تاريخ المغرب، منشـــورات كليـــة الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الحسن الثاني،2013، ص 22.

(2)– عبد المنعم الجميعي، الدولة العثمانية والمغرب العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 2007، ص12 .

لتصرفات المنصور الذي أراد التخلص من العهود التي كان قد قطعها أخوه عبد الملك للعثمانيين، بالإضافة إلى سعي العلج علي التطلع إلى المغرب لضمه إلى الدولة العثمانية. وأمام هذا الوضع، وجد المنصور نفسه بعد سماعه بحملة العلج علي سنة 989هـ / 1581م، الذي أرسله السلطان مراد الثالث، على رأس أسطول يتكون من ستين غاليريا، للوصول بها إلى مضيق جبل طارق، مجبراً على التقرب من الإسبان، حينما طلب منهم مساعدات عسكرية لمواجهة التدخل العثماني.

وفي نفس الوقت أرسل المنصور سفارة إلى إسطنبول تضم القائد أبا العباس أحمد بن ودة العمري، والكاتب أحمد بن حيي الهزيل، وقد حملت هدية عظيمة إلى السلطان العثماني للاعتذار له عن تأخره في الجواب، كما طلب منه العمل على إيقاف الحملة الموجهة ضده، فقبل السلطان مراد الثالث الاعتذار والهدية، وأمر العلج علي بالتوقف والعودة إلى المشرق.

كما وجّه المولى أحمد المنصور سنة 991هـ / 1583م حملتين عسكريتين لغزو توات وتيكورارين، واحدة من فاس بقيادة محمد بن بركة، والأخرى من مراكش بقيادة أحمد بن الحداد العمري المعقلي، وبعد أن التقت القوات بسجلماسة زحفت إلى تيكورارين، حيث حاصرت تيميمون واحتلتها، وزحفت إلى منطقة توات واعتمدت منها على تمنطيط قاعدةً لقصورها، إذ أسرع رئيسها الشيخ عمر بن محمد بن عبد الرحمن إلى إعلان طاعته للمنصور.

ب- تدهور الأوضاع الاقتصادية

فرضت السلطات الإسبانية ضرائب باهظة على السكان المحليين لتمويل الحملات العسكرية وتأمين السيادة على المناطق المحتلة. هذه الضرائب أثقلت كاهل الفلاحين والتجار على حد سواء.

أدت الحروب المستمرة والاضطرابات السياسية إلى تدمير البنى التحتية الزراعية وتراجع الإنتاج الزراعي بشكل حاد. فمع تعرض الأراضي للمعارك وتدمير المخازن والأدوات الزراعية، أصبحت الزراعة غير قادرة على تلبية الاحتياجات المحلية. كما أن التجارة، التي كانت تشكل شريان حياة هاماً للمجتمعات، تأثرت بشكل كبير بسبب الانقطاعات في طرق التجارة وتعطل النقل والاتصال بين المدن[1].

كما شهدت الجزائر والمغرب الأقصى في بداية القرن 16م انتشار الأوبئة التي انتقلت إلى المغرب مع المهاجرين الأندلسيين، فقد ظهر الوباء في سوس سنة 917ه1511/م، وانتشرت المجاعات في أغادير سنة1519 م و عدد من المدن[2]، وضرب المغرب جفاف كبير سنة 1520م،فتسببت هذه الأزمات في ارتفاع الأسعار سنة 1522م [3].

(1)- ابن غازي محمد العثماني ،الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2 المطبعة الملكية ، الرباط ، 1988م ، ص ص 40-41.

(2)- الوزان، المصدر السابق ، ص 68.

(3)- محمد رزوق، الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 – 17م، ط3 ، أفريقيا الشرق، الرباط – المغرب1998م، ص147.

الفصل

الثـــاني:

العلاقات السياسية و الاقتصادية بين الجزائر و المغرب الأقصى 1519–1799

المبحث الأول:العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الاقصى خلال العهد العثماني

1_ العلاقات خلال عهد أبناء المنصور (1012ه_1069ه/1603م_1659م)

2_العلاقات بين حكام الجزائر الباشاوات وحكام المغرب بعد المنصور

3_العلاقات في العقود الخمسة الأولى من القرن 11ه/القرن17م

المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية

1_العلاقات التجارية

2_المبادلات التجارية بين الجزائر و المغرب

3_الصناعات والحرف التقليدية

المبحث الأول: العلاقات السياسيةبين الجزائر والمغرب الأقصى خلال العهد العثماني

أ. العلاقات خلال عهد أبناء المنصور (1012هـ-1069هـ/1603م-1659م)

شهدت الجزائر في هذه المرحلة اضطراباً سياسياً واضحاً، نتيجة الصراع الداخلي بين فئات الحكم، لا سيّما تنافس طائفة الجند الإنكشارية وطائفة الرياس والكراغلة، حيث أظهر هذا الصراع عجزَ الحكومة المركزية عن ضبط الأوضاع وتوجيه السياسة الخارجية بشكلٍ فعّال[1].

تفاقمت التمردات والثورات في أنحاء متفرقة، ولاسيما في بلاد القبائل الكبرى، تحت قيادة قبائل محلية كانت ترفض سيطرة الباشاوات الجدد، وعلى رأسهم خضر باشا الذي دخل في عداءٍ شديد مع نفوذ "الكراغلة" والرياس، مما أدّى إلى تجزؤ السلطة وتكرار الثورات المناهضة لسلطته[2].

استغل السلطان المغربي زيدان بن أحمد المنصور هذه الفوضى السياسية، فقدم هدية مالية ضخمة تقدر بـــ300,000 أوقية ذهبية إلى السلطان العثماني في إسطنبول، طالباً دعم الأتراك العثمانيين ضد خصومه الداخليين، إلا أن هذه الخطوة لم تحقق مراده بالكامل بسبب ضعف التنظيم العثماني آنذاك وعدم قدرة الباشاوات على إرسال قوات منتظمة إلى المغرب[3].

---

(1)- عمار بن خروف، المرجع السابق، ص268.

(2)- **Henri de Castries**, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*, vol. 2, Imprimerie Ernest Leroux, Paris, 1909, pp. 331–333 ; pp. 240–243.

(3)- محمد الصغير بن الحاج الأفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق هوداس، مطبعة أرنست لوروا، باريس، 1889، ص75.

وعلى إثر ذلك، لجأ زيدان عام 1014هـ/1605م إلى عقد مشاورات مع الإسبان في تادلا وسجلماسة، سعياً لشن حملة ضد الجزائر، لكنه انتصر أخيراً لأسباب لوجستية وسياسية، ثم عاد إلى مراكش بعد أن فشل في الحصول على دعم فعّال من الجانب العثماني[1].

ب. العلاقات بين حكام الجزائر الباشاوات وحكام المغرب بعد المنصور

انتهج حكام الجزائر من الباشاوات الثلاثة سياسةً استباقيّةً تجاه المغرب الجديد، فدعم البعضُ أبناء المنصور في صراعاتهم الداخلية طمعاً في توسيع دائرة النفوذ، بينما تحالف آخرون مع الزوايا الصوفية المغربية ضد خصومهم[2].

ومع صعود الأسرة العلوية في المغرب، بدأ الصراع يحمل طابَعًا جديداً، إذ خشي حكّام الجزائر من توسّع قبضة المولى الرشيد وحليفه **محمد الشيخ الصغير بن زيدان**، الذي فتح أبواب المغرب أمام الدول الأوروبية للتجارة وبناء الدور[3].

ج. العلاقات في العقود الخمسة الأولى من القرن الحادي عشر هـ/القرن السابع عشر م

على الرغم من الصراعات الداخلية، اتسمت العلاقات بين الجزائر والمغرب في العقود الخمس الأولى بقدرٍ من السلم النسبي والتنسيق البحري ضد الأعداء الأوروبيين؛ فقد

(1)–محمد الصغير بن الحاج الأفراني ، المصدر السابق، ص193.

(2)– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500م–1830م، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 213.

(3)– أحمد بن الناصري، المصدر السابق، ص 190.

كان **الإنكليزي أنتوني شيرلي** (Anthony Sherley)من أشدّ أعداء الأتراك في الجزائر، لكن مواقفه لم تمنع تنسيقًا محدودًا بين البلدين ضد الغزوات الإسبانية على السواحل[1].

غير أن العقد السادس شهد تجددًا للصراع، إذ انكبّت الأسرة العلوية على توسيع نفوذها شرقيًّا باتجاه مناطق تُحسَب على الجزائر، ولا سيما سجلماسة وبني يزناسن، فشنّ المولى إسماعيل غاراتٍ على تلمسان ونواحيها، واجتاح بني عامر والحميان ثم عاد إلى بعض القبائل الصحراوية، ما أدّى إلى توترٍ حادٍ بين البلدين[2].

د. دور القوى المغربية المحلية الأخرى

برزت في هذه المرحلة **جمهورية سلا** ككيان مستقل يحكمه زعماء محليون وتجار بحر فاستخدمت قرصنةً منظمةً لتأمين مواردها، وتعاونت أحيانًا مع الجزائر في عمليات الجهاد البحري ضد البرتغال وإسبانيا [3]، كما لعبت **الزوايا العياشية** والـــ**دلائية** أدوارًا سياسية بارزة، عبر عقد اتفاقيات مع الباشاوات في الجزائر تُجدد بها الالتزامات الحدودية مقابل دعمٍ مالي وعسكري[4].

(1)–أحمد بن خالد الناصري،المصدر السابق، ص 200؛ وأيضا: روحيه كوندرو، Les corsaires de Salé، باريس، 1948، ص ص 146–147.

(2)– **Léon Galibert**, *L'Algérie ancienne et moderne*, Paris, 1844, p. 233;Raymond Thomassy, Le Maroc, Paris, 1859, pp. 39–40.

(3)– محمد حجي ، الحياة العلمية والفكرية في المغرب خلال العهد السعدي ، دار النشر المغربية، الرباط ، 1976، ص 177.

(4)– محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاءالمغرب ،1978، ص 219.

هـ. العلاقات مع الدولة العلوية

مع صعود **المولى الرشيد** وتوحيده لأجزاء كبيرة من المغرب في النصف الأول من القرن الحادي عشر هـ/السابع عشر م، اتخذت العلاقات مع الجزائر بعداً جديداً. فقد حاول الرشيد تثبيت حكمه عبر تأمين حدوده الشرقية بمحاذاة تلمسان، فبعث مبعوثين للتفاوض مع باشا الجزائر على احترام "وادي التافنة" كحد فاصل طبيعي بين البلدين[1].

غير أن هذه الاتفاقيات ظلّت هشة نتيجة تشبّث العلويين بتوسيع سيطرتهم، فشنّ المولى إسماعيل غاراتٍ متواترة على سجل ماسة وبني يزناسن في 1083هـ/1672م، استهدف خلالها تأمين طرق القوافل الصحراوية والحدّ من تدخل القبائل الموالية للجزائر في الشؤون المغربية[2].

ورغم المواجهات العسكرية، لم تنقطع طوال زمن إسماعيل الاتصالات الدبلوماسية بين القصرين؛ إذ شاركَ القناصل الفرنسيون رسائل عديدة بينها رسالة **بيير دي كاتالان** إلى الوزير كولبير في 12 ذو القعدة 1094هـ/1 نوفمبر 1683م، التي أشار فيها إلى تنسيقٍ مبدئي بين الجزائر والمغرب ضد القرصنة الإسبانية، وهو ما عكس درجة من التفاهم ولو المؤقت[3].

(1)–محمد بن الطيب القادري، المرجع السابق ، ص 134.

(2)– **Diego de Haëdo**, *Topographie et histoire générale d'Alger*, traduit par Monnereau et A. Berbrugger, Paris, 1870 (imprimé à Valladolid en 1612), p 46.

(3)– Eugène Plantet, *Correspondance des deys d'Alger avec la cour de France (1579–1833)*, vol. I, Paris, pp. 381, 388, 418.

و. تأثير القوى الأوروبية

لم يقتصر دور أوروبا على التحالفات والعداوات المباشرة، بل ظهر واضحاً في الضغط الاستعماري على السواحل الشمالية لكلا البلدين. فقد احتفظت إسبانيا بسبتة ومليلية والعرائش، وبقيت القواعد البرتغالية في آسفي مقراً لمراقبة حركة السفن الجزائرية والسلاوية[1].

وفي مواجهة هذا التهديد الخارجي، شهدت سواحل كل من سلا وتطوان والجزائر تنسيقًا محدوداً في عمليات **الجهاد البحري** ضد القوى المسيحية، حيث تدفقت الرسائل بين السلطات الجزائرية والمغربية لمشاركة المعلومات الاستخباراتية حول تحركات الأساطيل الأوروبية[2].

ز. تحديد ورسم الحدود

ظل غياب الحدود المرسومة بوضوح سبباً رئيساً للمناوشات المتكررة في الصحراء والجبال. بادر الطرفان في أواخر القرن الحادي عشر هـ/الثامن عشر م إلى استخدام معاهدات فرنسية كوسيط لتثبيت خطوط التقسيم، بيد أن الاتفاقيات مثل تلك الموقعة بمدن قادش وكان حينها تدخل القناصل مجرد مشروع أولي لم ينفذ على الأرض بشكلٍ كامل ، ومع تطوّر الفهم الدبلوماسي، اعتمدت الجزائر والمغرب مبادئ "الحدود الطبيعية" كالأودية

(1)- Enrique García Hernán ،España y elnorte de África, Madrid: CSIC, 2006, p. 210.

(2)- Enrique García Hernán , ibid ,p.222.

والجبلية بوصفها معالم ثابتة، إلا أن هذه المقاربة اصطدمت ببقاء النفوذ العشائري في بعض المناطق، مما جعل الحدود لا تزال تتعرض لانتهاكات من جهتي القبائل في بني عامر وحميان وبني يزناسن، حتى منتصف القرن الثامن عشر[1].

المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية

أولا:العلاقات التجارية

إنّ أيّ حرفة أو نشاط إنتاجي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بوجود أسواق قادرة على تسويق المنتجات وتوفير حاجات المستهلكين. وبما أنّ هذه الأسواق كانت غالبًا عاجزة عن تلبية كامل الطلب المحلي، فقد استُعين بالقوافل التجارية لسدّ هذا النقص، وهو ما أفضى إلى قيام علاقات تجارية تكاملية بين الجزائر والمغرب الأقصى، حيث ساهم كل طرف في مدّ الآخر بما يفتقر إليه[2].

رغم أن النشاط التجاري بين الجزائر والمغرب الأقصى لم يبلغ درجة التنوع التي ميزت العلاقات مع أوروبا، إلا أن وجود القوافل البرية ساهم في استمرار هذه العلاقات، وقد اتخذت القوافل مسارات معروفة تمر عبر مدن جزائرية رئيسية، منها تلمسان، مليانة، الجزائر العاصمة، بجاية، وعنابة، وصولًا إلى فاس بالمغرب، ما يشير إلى شبكة طرق منتظمة نسبيًا، رغم تغيرها أحيانًا تبعًا للأوضاع الأمنية أو السياسية[3].

(1)- عبد الهادي التازي، المصدر السابق، ص 16.

(2)- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص ص104-105.

(3)- ابن بطوطة، تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: محمد عبد المنعم العريان، مراجعة: مصطفى القصاص، ط1، دار إحياء العلوم، بيروت – لبنان، 1987، ص175.

برزت واحة توات في الجنوب الشرقي للجزائر كمركز تجاري استراتيجي، حيث تمركز فيها نشاط التجار المتوجهين نحو المغرب أو القادمين منه، كما ساهم تجار مدن بني مزاب وورقلة وبسكرة وقسنطينة في تصدير سلعهم إلى مدن مغربية كفاس ومكناس وتطوان، وكانت تشمل الحرير، الفضة، أدوات الزينة، والخردوات، بينما عادوا بجلود الخيول والمنتجات الجلدية من سجلماسة[1].

أشار ابن بطوطة في "تحفة الناظر" إلى طريق تجاري كان يربط بين فاس وتلمسان، ثم مليانة فالجزائر العاصمة فبجاية وعنابة، مشيراً إلى أمنه وسلامته مقارنة بطرق أخرى[2]

أ_أهمية تلمسان في التبادل التجاري

تُعدّ مدينة تلمسان نقطة وصل مهمة في حركة التبادل التجاري بين المغرب والجزائر. وقد مرت بها طرق أساسية، منها طريق الساحل الرابط بين المدن الداخلية الجزائرية، والطريق المؤدي إلى مكناسة وفاس ومازونة ثم مليانة فالجزائر فقسنطينة وعنابة، كما مر بها طريق بري يبدأ من مراكش، يمر بفاس وتلمسان ثم يتجه نحو المسيلة وتبسة عبر أطراف الأطلس الصحراوي[3].

ذكرت الباحثة عائشة غطاس أن التجار المغاربة في الجزائر كانوا يحتلون موقعاً اقتصادياً مميزاً، وكانوا أكثر نشاطاً من غيرهم، إذ شكلوا النسبة الأكبر من المتعاملين

(1)- عمار بن خروف، المرجع السابق، ص319.

(2)- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص175.

(3)- المصدر نفسه، ص 176

التجاريين في العاصمة، كما أوضحت أن أغلبهم لم يكونوا مستقرين بل كانوا يقيمون مؤقتًا في الفنادق، وتوفي بعضهم خلالها[1].

من ناحية أخرى، كان للقراصنة الجزائريين دور تجاري غير تقليدي، إذ كانوا يبيعون غنائمهم – من عبيد وذخائر – في موانئ مغربية مثل سلا وتطوان، حيث كانوا يتعاملون مع المغاربة وحتى مع الإنجليز، مما يعكس نوعًا من التعاون المرن في الجانب البحري من التجارة[2].

ورغم التوترات السياسية المتقطعة، فإنّ التجارة بين الجانبين لم تتأثر بشكل حاسم، ويعود ذلك إلى الطابع الحدودي المفتوح نسبيًا بين المغرب الأقصى والغرب الجزائري، ما سهّل استمرار التبادل دون انقطاع كبير

ب. المواد التجارية المتبادلة

صدّرت الجزائر سلعًا متعددة إلى المغرب، أبرزها: السيوف، الأقمشة الهندية القسنطينيةمواد الصباغ النباتية، والحرير التونسي بالمقابل، استوردت من المغرب: الصابون،السكر، الجلود، النعال الجلدية، الحياك الصوفية، السلاح (السيوف والبنادق)، الأنسجة القطنية، الشواشي، الأقمشة الحريرية، الخيول، تبر الذهب، البخور، والنيلة[3].

(1)– عائشة غطاس، "الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر 1700–1830م (مقاربة اجتماعية – اقتصادية)"، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2000–2001، ص40.

(2)–أحمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق ،ص70.

(3)– عمار بن خروف، المرجع السابق، ص319.

كما شملت التجارة تبادل الأسرى، إذ تم بيعهم كعبيد من قبل المغاربة في الجزائر والعكس، في محاولة للالتفاف على الاتفاقيات التي كانت تحظر الاتجار بالبشر[1].

ج. أهم مراكز التبادل التجاري

برزت عدة مدن في الجزائر والمغرب كمراكز رئيسية للتجارة، منها:

مدينة الجزائر: كانت مدينة الجزائر مركزًا اقتصاديًا مهمًا بفضل موقعها الجغرافي وتطورها السياسي والعسكري. وقد استوردت المدينة سلعًا متعددة من أوروبا، لا سيما من جنوة، صقلية، البندقية، القسطنطينية، وإنجلترا، ومنها الحديد، النحاس، والأقمشة[2].

أولًا: المبادلات التجارية بين الجزائر والمغرب

1_المواد المتبادلة

شهدت العلاقات التجارية بين الجزائر والمغرب تنوعًا واضحًا في طبيعة السلع المتبادلة، وهو ما يعكس عمق التكامل الاقتصادي بين الجانبين خلال الفترة الحديثة. فقد

(1)- حسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص120.

(2)- Diego de Haédo, Topographie et histoire générale d'Alger, traduit par Monnereau et A. Berbrugger, 1870 (Imprimé à Valladolid en 1612), pp. 31, 54.

صدّرت الجزائر سيوفًا وأقمشة هندية وقسنطينية ومواد صباغة نباتية، بالإضافة إلى الحرير القادم من تونس في المقابل، صدّر المغرب إلى الجزائر الصابون والسكر والجلود المدبوغة والنعال الجلدية والحياك الصوفية والأسلحة من سيوف وبنادق، فضلًا عن الأقمشة القطنية والشواشي والأقمشة الحريرية والخيول وتبر الذهب والبخور والنيلة

ومن المظاهر غير التقليدية في المبادلات، تجارة الأسرى، حيث كان كل طرف يبيع الأسرى كعبيد في أسواق الطرف الآخر، متجاوزًا بذلك الاتفاقيات المانعة لمثل هذه الممارسات

كما اشتهر تجار تطوان وسلا بتصريف الغنائم والمواشي التي استولوا عليها من السفن الأوروبية في الجزائر[1].

2_أهم المراكز التجارية

أ. مدينة الجزائر

تصدّرت مدينة الجزائر المشهد التجاري بفضل مكانتها السياسية والعسكرية، حتى أُطلق عليها لقب "إسطنبول الصغرى"، نظرًا لانخراط عدد كبير من سكانها في الأنشطة التجارية. استوردت الجزائر عبر مينائها الحديد والنحاس والفولاذ من فرنسا، والألبسة القطنية من إسبانيا، والعطور ومواد الصباغة من المدن الإيطالية، إضافة إلى الأخشاب

(1)- عمار بن خروف، العلاقات الجزائرية المغربية خلال العهد العثماني (1519–1830)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991، ص. 324

والصابون والحرير. أما صادراتها، فشملت الصوف والجلود والشمع والتمر، إلى جانب الغنائم، وذلك إلى عدد من المدن الأوروبية عبر موانئ سلا وتطوان[1].

ب. تطوان

لعبت تطوان دوراً محورياً كميناء تجاري مهم في شمال المغرب، لا سيما بعد احتلال سبتة وطنجة ومليلية من قبل الإسبان والبرتغاليين. ففي عام 1531م، اقتنى خير الدين منها كميات كبيرة من الحبوب لسد النقص الغذائي في الجزائر، وقد كانت تُصدَّر منها منتجات مثل العسل والسكر والصابون، كما استخدمت كميناء تموين لقراصنة الجزائر[2].

ج. تلمسان

شكّلت تلمسان قلب النشاط التجاري في غرب الجزائر، وارتبطت بشبكة تبادل سلعي مع مدن مغربية مثل تازة وفاس وسجلماسة ودرعة وفجيج. كما كانت مركزاً تجارياً رئيسياً يربط شمال إفريقيا ببلاد السودان. وقد صدّرت المدينة منتجاتها إلى تلك المناطق، واستوردت منها الصوف والحبوب والماشية والمنسوجات والجلود والنيلة [3]، وذكر الحسن الوزان أن تجار تلمسان وفاس كانوا يمدّون سكان تكنتورين بالشحم والملح [4]، إلا أن مكانة

(1)- نفسه، ص ــ325

(2)- مرمول كربخال، إفريقيا، ترجمة محمد وآخرين، ج2، مكتبة المعارف، الرباط، 1984، صــ233.

(3)- حسن الوزان، المرجع السابق ، صــ132.

(4)- نفسه، ج2، صــ133.

تلمسان التجارية تراجعت خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، نتيجة فقدانها لمنافذها البحرية بسبب الاحتلال الإسباني[1].

د. سلا

برزت مدينة سلا كأحد مراكز التبادل التجاري المهمة بين الجزائر والمغرب، وخصوصاً في سياق الجهاد البحري، حيث كانت سوقًا لتصريف الغنائم القادمة من الجزائر، كما كان التجار السلاويون يبيعون منتجاتهم في الأسواق الجزائرية. وبلغت هذه المبادلات ذروتها في عهد الدولة الدلائية، لاسيما أثناء حكم الأمير عبد الله بن محمد الحاج بين سنتي 1615 و1664م، وقد ساهمت الطرق البحرية والبرية الرابطة بين سلا وتلمسان ومعسكر والجزائر في تنشيط هذه المبادلات[2].

ثانيًا: الصناعات والحرف التقليدية

تميّز النشاط الحرفي في المغرب الأوسط والمغرب الأقصى بتنوع كبير ومهارة عالية خاصة في المناطق الغربية للجزائر وشرقي المغرب، مثل تلمسان ووهران ووجدة، وقد لعب الأندلسيون دوراً مهماً في الارتقاء بالصناعات التقليدية بعد هجرتهم إلى هذه المناطق، حيث نقلوا معهم فنون الزخرفة والنحت على الجص، وهو ما يتجلى في جودة التحف المعمارية والفنية التي لا تزال قائمة حتى اليوم، أما حرفة النسيج، فكانت من أقدم الحرف المعروفة في هذه المنطقة، حيث اشتهر الأمازيغ بصناعة الزرابي ذات الأبعاد

(1)- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاث مائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، صص ــ100-102.

(2)- بن خروف، المرجع السابق، صــ327.

الفنية والزخرفية الخاصة، وتبدأ عملية الإنتاج بجمع وغسل الصوف، ثم تحويله إلى خيوط، تليها عملية الحياكة على النول وغالبًا ما كانت هذه المهمة منوطة بالنساء، بينما يتولى الرجال تسويق المنتج النهائي[1].

كما أكد ويليام أن الغرب الجزائري والمغرب اشتهر بارتداء عباءات مصنوعة من الوبر أو الخيوط الناعمة، تشبه في تصميمها القلنسوة الإيطالية، وسُجّل تشابه كبير في صناعات تقليدية أخرى، كالسروج، الأحذية الجلدية، الخزف، والنقش على الأواني النحاسية المستخدمة للزينة أو الاستعمال اليومي[2].

تفاوتت العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب باختلاف الفترات التاريخية. ففي الوقت الذي اتسم فيه العهد الوطاسي بنهج سلمي تجاه الجزائر العثمانية بهدف توحيد الصفوف ضد التهديدات الأجنبية، اتخذ العهد السعدي منحى تصادمي، حيث اعتبر محمد الشيخ الوجود العثماني في الجزائر تهديداً للسيادة المغربية، وفي فترة الدولة العلوية، أظهر السلطان المولى الرشيد طموحاً في التوسّع نحو الأراضي الجزائرية، رغم دعوات الجزائر المتكررة للتفاوض، وشهد عهد المولى إسماعيل مواجهات متكررة، انتهت بانخفاض حدة التوتر عقب وفاته.

– اقتصاديًا، شكّلت موانئ مثل سلا وتلمسان محاور إستراتيجية في ربط البلدين، وعززت من فرص التكامل والتبادل التجاري بين الجانبين.

(1)– حسن الوزان، المرجع السابق ، ص ص ــ131–132.

(2)– سبنسر ويليام، المصدر السابق ، ص ــ29.

الفصل الثالث

العلاقات الثقافية و الاجتماعية بين الجزائر و المغرب الأقصى(1519-1799م)

المبحث الأول :العلاقات الثقافية

1_التبادل العلمي والديني بين العلماء و المؤسسات العلمية

2_حركة العلماء الجزائريين بين الجزائر و المغرب الأقصى خلال العهد العثماني و دورها في توثيق العلاقات الثقافية

المبحث الثاني :العلاقات الاجتماعية

1_الهجرة والتزاوج بين الأسرة والنخب

2_الأسواق الموسمية والتنقل التجاري و الاجتماعي

3_ العادات والتقاليد المشتركة بين الجزائر و المغرب الأقصى

المبحث الأول : العلاقات الثقافية

المطلب الأول: التبادل العلمي والديني بين العلماء والمؤسسات العلمية

شهدت الفترة العثمانية في الجزائر ازدهاراً ملحوظًا في العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى، خاصة عبر النشاط العلمي والديني، فقد برزت حركة نشطة للعلماء الجزائريين نحو المراكز العلمية المغربية، وبالعكس ومن بين الأسماء البارزة التي عكست هذا التداخل العلمي، نجد عبد الكريم الفقون (ت. 1662م)، وأبو القاسم القسنطيني (ت. 1586م)، ومحمد بن الكماد القسنطيني (ت. 1740م)، ويحيى الزواوي (ت. 1590م). وقد لعب هؤلاء دوراً كبيراً في نقل المعارف بين الشرق الجزائري ومدينة فاس المغربية، مما يعكس عمق التبادل العلمي بين الطرفين في هذه المرحلة التاريخية.[1]

أثّرت الأحداث السياسية والعسكرية الكبرى على عمق العلاقات الجزائرية المغربية، خاصة في النصف الثاني من القرن السادس عشر، حيث مثّلت معركة وادي المخازن (أوت 1578م) نقطة تحول مهمة في العلاقات المغاربية. فقد لعبت الجزائر دوراً حيوياً في هذه المعركة التي جمعت تحالفًا مغربيًا جزائريًا ضد التدخل البرتغالي بقيادة الملك سباستيان. فقد لجأ القادة السعديون المعارضون للسلطان عبد الله الغالب، ومنهم مولاي عبد المالك وأحمد المنصور، إلى الجزائر طلبًا للدعم، وهو ما وفره لهم حكام الجزائر العثمانيون، مما ساعد في تحقيق النصر في هذه الواقعة المفصلية التي عُدت من أبرز محطات التضامن المغاربي في وجه القوى الأوروبية.[2]

شهد القرن السابع عشر امتداداً ملموساً للعلاقات الثقافية والعلمية بين الجزائر والمغرب، وقد تجلّى هذا في تزايد عدد العلماء الجزائريين الذين شدّوا الرحال إلى المغرب،

(1)- علي بن محمد القلصادي، رحلة القلصادي، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس: الدار العربية للكتاب، 1981، ص 96-107.

(2)- بركات، المرجع السابق، ص 35.

خاصة إلى فاس، بوصفها مركزاً علمياً بارزاً في المنطقة. فقد انتقل عدد من علماء الجزائر إلى المغرب الأقصى للاستزادة من العلم، وطلب الإجازات، والانخراط في حلقات الدروس التي كانت تزخر بها مدارس فاس، وتُعد الإجازات العلمية التي كانت تُمنح للعلماء من أهم مظاهر هذا التبادل، إذ لم تكن مجرد وثائق إثبات علم، بل وسيلة للتواصل المعرفي بين علماء المنطقتين، مما ساهم في تكوين طبقة من العلماء الجزائريين ذوي التكوين المزدوج، المغاربي والمشرقي.

كما كان لتعدد الرحلات العلمية أثر كبير في توحيد المرجعيات الفقهية واللغوية بين الجانبين، حيث درس عدد من الجزائريين على يد علماء مغاربة من أمثال أبي علي اليوسي وأبي سيدي عبد القادر الفاسي، وكان من هؤلاء محمد بن عبد الكريم الجزائري، الذي جمع بين روافد علمية مشرقية ومغربية على حد سواء، مما يعكس مدى التداخل الثقافي بين الحواضر العلمية في الجزائر والمغرب خلال هذه المرحلة.[1]

مع نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر، تطورت العلاقات الجزائرية المغربية لتتجاوز الأطر الثقافية والعلمية التقليدية، وتأخذ طابعاً مركباً يمزج بين الديني، والعلمي، والسياسي، فإضافة إلى الرحلات العلمية وتبادل الإجازات، ظهر تعاون ملموس في المجال السياسي انعكس على البنية الثقافية للبلدين، وخاصة بعد لجوء عدد من الشخصيات السياسية والدينية المغربية إلى الجزائر هرباً من الاضطرابات التي كانت تعصف بالمغرب خلال هذه المرحلة.

ومن أبرز الأمثلة على هذا التعاون ما حدث في أعقاب النزاع بين الأمراء السعديين، إذ وجد المعارضون السياسيون للمولى عبد الله الغالب ملاذاً لهم في الجزائر، حيث وفّرت لهم السلطات الجزائرية الحماية والدعم السياسي، ما مكّنهم لاحقاً من العودة

(1)–عمار هلال، "العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين"، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد 9، الجزائر، 1995، ص 36.

إلى المغرب مسلحين بهذا الدعم، وتحقيق نصر حاسم في معركة وادي المخازن سنة 1578م. وكانت هذه الواقعة مفصلية في تاريخ المنطقة، إذ أبرزت قدرة الجزائر على لعب دور محوري في التوازنات السياسية المغاربية، كما كشفت عن عمق العلاقات السياسية والاجتماعية التي كانت تربط البلدين، والتي لم تقتصر على المصالح الآنية، بل امتدت لتشمل تحالفات استراتيجية ذات أبعاد ثقافية وروحية.[1]

وفي هذا السياق، احتضنت الجزائر عدداً من العلماء المغاربة الذين انخرطوا في الحياة العلمية داخل المدن الجزائرية الكبرى مثل تلمسان، وقسنطينة، والجزائر العاصمة، حيث أُتيح لهم التدريس، والتأليف، وتكوين طلاب جزائريين، مما ساهم في ترسيخ تقاليد علمية مشتركة بين الضفتين. كما أنّ الجزائر بدورها أرسلت علماءها إلى المغرب للتتلمذ على يد كبار علماء فاس، كما هو الحال مع محمد بن عبد الكريم الجزائري، الذي جمع بين الشيوخ المشارقة والمغاربة، وكان نتاجه العلمي معبّراً عن هذا التعدد في المنابع المعرفية.

لقد أدى هذا التفاعل إلى بروز شبكة من العلماء العابرين للحدود السياسية، الذين شكّلوا جسور تواصل فعالة بين مختلف الحواضر الإسلامية في المغرب العربي، وخلقوا نمطًا من التعاون الثقافي والديني، كانت له آثار بعيدة المدى على الهوية الإسلامية المغاربية في ظل الدولة العثمانية.

شهد القرن الثامن عشر امتداداً ملحوظًا للعلاقات الثقافية والاجتماعية بين الجزائر والمغرب، حيث لعبت الطرق الصوفية دوراً محورياً في تعزيز الروابط بين شعوب البلدين. فقد شكّلت الزوايا الصوفية فضاءات فاعلة للحوار الروحي والعلمي، وكانت طرق مثل التيجانية والقادرية والشاذلية تُمارَس عبر الحدود دون اعتبار للفواصل السياسية ، وكان

(1)- محمد بن محمد عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح: أبو القاسم سعد الله، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر،1987، ص ص 31-32.

شيوخ هذه الطرق يتنقّلون بحرية نسبية بين المغرب والجزائر، ناشرين تعاليمهم، وباحثين عن تلاميذ ومريدين، ومرسّخين نمطًا اجتماعيًا يقوم على الوحدة الروحية والانتماء المشترك إلى فضاء صوفي مغاربي واسع.(1)

من الأمثلة البارزة على ذلك، الطريقة التيجانية التي أسّسها الشيخ أحمد التيجاني (1737–1815م)، والتي كان لها أتباع في تلمسان وفاس على حدّ سواء. وقد حظي هذا التيار الصوفي بدعم من كلا البلدين، ووفّر أرضية اجتماعية مثالية لتبادل الزيارات والمراسلات والكتب والمخطوطات. ومن خلال الزوايا التيجانية في الجزائر، وصل تأثير الطريقة إلى عمق الصحراء، ثم إلى المغرب وبلاد السودان، مما يعكس حجم الترابط الصوفي والاجتماعي بين الجانبين.(2)

فهي واحدة من أبرز الطرق التي تأسّست في الجزائر ووجدت لنفسها صدى واسعًا في المغرب الأقصى أسسها الشيخ أبو العباس أحمد التيجاني، المولود في عين ماضي سنة 1150هـ/1737م. وقد نهل التيجاني من عدة طرق ومشايخ، منهم شيوخ الطريقة القادرية والناصرية والخلواتية، وارتحل إلى الحواضر العلمية في الجزائر والمغرب وتونس، كما زار مكة المكرمة.(3)

بدأ في بلورة طريقته من منطقة بوصمغون بضواحي البيض في الجنوب الجزائري، لتأخذ طابعًا صوفيًا خاصًا تميّز بالتركيز على الصحبة المباشرة للشيخ، وتقديس السند الروحي المتصل به، وسرعان ما وجدت الطريقة التيجانية صدى لها في فاس، العاصمة الروحية والعلمية للمغرب، حيث أسّس الشيخ التيجاني مركزًا رئيسيًا لطريقته هناك، مما

(1)- L. Arnaud, “Histoire de l’ouali Sidi Ahmed El Tidjani,” Revue Africaine, N°5, Alger 1861, p. 468.

(2)- عبد الحميد بك، أعيان من المشرق والمغرب (تاريخ عبد الحميد بك)، تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 153.

(3)- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، دار الأمة للنشر والتوزيع،الجزائر، 2009، ص 68.

جعلها واحدة من أهم القنوات الروحية التي عزّزت الاندماج الثقافي والديني بين المغرب والجزائر.[1]

وقد حظيت التيجانية بدعم واسع في الأوساط العلمية والسياسية بالمغرب، وأصبحت الزوايا التابعة لها مراكز للحوار الثقافي والديني، ومنطلقًا للتأثير الاجتماعي في أوساط القبائل والسكان، خاصة في الجنوب المغربي والصحراء الكبرى، حيث كانت الزوايا التيجانية تنشر قيم الانضباط والتدين المعتدل، وتشكل أداة لبناء التماسك الاجتماعي بين المجتمعات المحلية.

أما الطريقة الرحمانية واحدة من أبرز الطرق الصوفية الجزائرية التي أثّرت في الحياة الاجتماعية والدينية خلال العهد العثماني، تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن القشتولي الأزهري، الذي وُلد في منطقة جرجرة سنة 1720م الذي استمدّ أسس طريقته من الطريقة الخلواتية التي تعرّف عليها أثناء رحلته إلى المشرق، خاصة خلال إقامته بالأزهر الشريف في القاهرة في طريق عودته من أداء فريضة الحج سنة 1769م، قبل أن يُدخلها إلى الجزائر ويطوّرها، فحملت اسمه لاحقًا.[2]

وقد انتشرت الطريقة الرحمانية في عدة جهات من الجزائر، وكان من أبرز زواياها الزاوية العثمانية بطولقة، وزاوية خنقة سيدي ناجي ببسكرة، إلى جانب امتدادها إلى منطقة الجريد التونسية. وبهذا فإن الرحمانية كانت أحد العوامل المهمة في تعزيز الروابط الروحية والاجتماعية بين سكان المغرب الأوسط والمغرب الأدنى.[3]

كما لعبت هذه الطريقة دوراً ملحوظًا في تونس، خاصة بعد أن قام يوسف بوحجر بإنشاء أول زاوية رحمانية بمنطقة الكاف، والتي أصبحت لاحقًا الزاوية الأم للطريقة في

(1)- المرجع نفسه، 69.

(2)-الطاهر فيلالي مختار ، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني ، دار الفن الغرافيكي للنشر والتوزيع،الجزائرن د.ت، ص40.

(3)- المرجع نفسه، 41.

الأراضي التونسية. ومن بين الزوايا الأخرى التي ظهرت في تونس، نجد زاوية سيدي عبد الملك بسليانة، مما يعكس انتشاراً واسعاً وتأثيراً اجتماعياً عميقاً لهذه الطريقة عبر حدود الدول المغاربية.

ومن الأبعاد التي تُظهر الطابع التكاملي بين الجزائر والمغرب، أن مؤسس الطريقة الرحمانية، محمد بن عبد الرحمن، أوكل قبل وفاته رئاسة الطريقة إلى الشيخ علي بن عيسى المغربي، وترك له ممتلكاته من كتب وأوقاف وأراضٍ، دون أن يوكلها إلى أقربائه، في خطوة تُعبّر عن الثقة العابرة للأوطان وتُبرز مساهمة المغاربة في إسناد وتطوير الطرق الصوفية الجزائرية.[1]

كما ساهم العلماء والفقهاء الجزائريون خلال هذه المرحلة في الحياة الثقافية المغربية، خاصة من خلال التدريس بفاس، التي كانت تمثل إحدى أهم الحواضر العلمية في شمال إفريقيا. فقد التحق بها العديد من الطلبة والعلماء الجزائريين، من أمثال عبد الرزاق بن حمدوش الذي سجل بدقة الأنساب والتقاليد والأعراف المحلية، مما يدل على انخراط الجزائريين في النسيج الاجتماعي المغربي، وتفاعلهم مع محيطهم الثقافي الجديد.[2]

وفي المقابل، شهدت الجزائر استقبال علماء مغاربة أثروا في البنية الفكرية للمدن الجزائرية الكبرى، وساهموا في دعم المدارس الشرعية، ما عزّز أواصر القرب بين النخب الثقافية والدينية في البلدين. ويمكن القول إن هذه المرحلة تميزت بازدهار نوع خاص من العلاقات العابرة للدول، أساسها الانتماء الديني المشترك، والمصالح الثقافية المتبادلة، والطرق الصوفية العابرة للجغرافيا.

(1)- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1998، ص 509.

(2)- عبد الرزاق بن حمدوش، لسان المقال في النبأ عن النسب والحال، تح: أبو القاسم سعد الله، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982، ص46

المطلب الثاني: حركة العلماء الجزائريين بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال العهد العثماني ودورها في توثيق العلاقات الثقافية

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني حركة علمية نشطة تمثلت في هجرة عدد من علمائها نحو المغرب الأقصى، لا سيما إلى الحواضر العلمية الكبرى مثل فاس، ومراكش، وتارودانت. وقد ساهمت هذه الهجرات في توطيد أواصر العلاقات الثقافية والدينية بين البلدين، حيث كان لعلماء الجزائر دور محوري في إثراء الحياة الفكرية المغربية، ما جعل من هذه الحركة جسراً علمياً وروحياً ممتداً بين ضفتي المغرب العربي

برز من بين العلماء الجزائريين الذين استقروا أو تنقلوا بين الحواضر المغربية عدد من الأسماء البارزة التي أثرت في الساحة العلمية. من أبرزهم العالم سيدي محمد شقرون بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي (ت 1523م)، أحد أعلام تلمسان، الذي انتقل إلى فاس وتتلمذ على يد كبار علمائها، من بينهم ابن غازي والدقون وقد تميز بحفظه وإجازاته، وله عدد من المؤلفات الفقهية، من أهمها :الجيش الكمين في الرد على من يكفر عامة المسلمين، والمنظومة الشقرونية في المأكولات والمشروبات، وجامع جوامع الاختصاص، وقد ترك بصمة واضحة في الحياة العلمية المغربية.[1]

وفي السياق ذاته، يُعد أحمد بن جيدة الوهراني (ت 951هـ/1544م) من العلماء الجزائريين الذين كان لهم حضور مؤثر في المغرب. وُلد في وهران، ثم انتقل إلى فاس حيث درس علم الكلام على يد الإمام السنوسي، كما أخذ عن ابن غازي كتابي العمدة والرسالة .تولى التدريس في فاس، وكان له تأثير بالغ في تكوين عدد من علماء المغرب.[2]

(1)- عبد السلام بن عبد القادر بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى (دليل ابن سودة)، ط1، دار الفكر، لبنان، 1997، ص202.

(2)- محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران، تح: المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2003، ص80.

ومن العلماء الذين وُلدوا بالمغرب لأصول جزائرية، نذكر أبو العباس ابن جيدة الفاسي، الذي نشأ بفاس بعد انتقال والده إليها، تلقى تعليمه على يد والده وابن غازي، ودرّس بالمدرسة المصباحية ثم بجامع القرويين، كما تولى منصب القضاء لمدة ثمانية عشر عامًا،وكان فقيهًا وأديبًا، وله مؤلفات في القواعد الفقهية، من أبرزها النور المقتبس من قواعد مذهب مالك بن أنس، فضلًا عن إنتاجه في فنون الأزجال والموشحات.[1]

أما محمد شقرون الوجديجي (ت 983هـ/1575م)، فقد وُلد بتلمسان، وكان فقيهًا بارزًا ومفتيًا للمدينة، ثم ارتحل إلى المغرب الأقصى سنة 967هـ، حيث أقام في فاس ومراكش، وتولى فيهما مهام الإفتاء،وقد عُرف بعلمه في الأصول والمنطق والبيان، ومن أهم أعماله شرح رجز أبي إسحاق التلمساني في الفرائض[2].

ويبرز أيضًا في هذا السياق محمد بن أحمد التلمساني، المعروف بابن الوقاد (ت 1001هـ/1592م)، الذي تلقى علومه في تلمسان، وهاجر إلى المغرب سنة 968هـ/1560م رفقة السلطان السعدي واستقر في مدينة تارودانت، حيث تولى القضاء، ثم تنقّل بين عدد من الحواضر مثل فاس ومكناس، قبل أن يعود إلى تارودانت ليتولى مهام الفتوى والخطابةفكان أول من قرأ صحيح البخاري قراءة ضبط وإتقان في المغرب، كما تميز بعلمه في التفسير والحديث، وكان إلى جانب ذلك أديبًا متمكنًا.[3]

إن تتبع هذه السير العلمية يبرز دلالات متعددة تؤكد عمق التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال الفترة العثمانية. من أبرز هذه الدلالات تكامل الحواضر العلمية بين تلمسان وفاس، إذ شكلت الرحلة بين المدينتين مساراً تقليديًا في التكوين العلمي،

(1)- أحمد المنجور، فهرس أحمد المنجور، تح: محمد حجي، دار المغرب، الرباط، 1976، ص50.

(2)- مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان إلى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 16م، مذكرة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، 2013-2014، ص ص100،96.

(3)- أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط2، دار الكتاب، طرابلس، 2000، ص288.

كما أن تشابك الأنساب والمشيخات بين العائلات العلمية الجزائرية والمغربية خلق نوعاً من الترابط الاجتماعي والثقافي المستدام.

من جهة أخرى، ساهم العلماء الجزائريون في الاندماج داخل المؤسسات العلمية المغربية، لا سيما جامع القرويين والمدرسة المصباحية، ما يعكس الاعتراف الرسمي بمكانتهم العلمية. كما أدى هذا التفاعل إلى إنتاج علمي مشترك تمثل في التأليف والشرح والإفتاء، عزز من وحدة المرجعية الفقهية المالكية في كلا البلدين. ويُضاف إلى ذلك، أن بعض الهجرات كانت ذات طابع سياسي، مثل الهجرة مع السلاطين السعديين، مما يعكس العلاقة بين العلم والسلطة السياسية، ودور النخب العلمية في الاستقرار الديني والمؤسسي.

ختاماً، يُمكن القول إن حركة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى خلال العصر العثماني لم تكن مجرد تنقلات فردية، بل شكلت ظاهرة حضارية متكاملة ساهمت في بناء فضاء علمي مغاربي مشترك، وقد أدت هذه الحركة إلى إثراء الحياة العلمية، وتعزيز وحدة المرجعية المذهبية، وترسيخ أواصر التواصل الثقافي والديني بين ضفتي المغرب الكبير، مما جعل منها إحدى أهم قنوات التلاقي الحضاري بين الجزائر والمغرب.

المبحث الثاني: العلاقات الاجتماعية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال العهد العثماني (1519–1799م)

المطلب الأول: الهجرة والتزاوج بين الأسر والنخب

شهدت العلاقات الاجتماعية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال العهد العثماني تفاعلاً مستمراً تمثّل في ظواهر الهجرة والتزاوج بين الأسر، لا سيما في الأوساط العلمية والدينية والتجارية. فقد هاجرت العديد من الأسر المغربية إلى المدن الجزائرية الكبرى مثل

تلمسان ووهران والجزائر العاصمة، وذلك لأسباب علمية أو سياسية أو اقتصادية، وكانت هذه الأسر تلقى ترحيباً داخل المجتمع الجزائري، مما ساهم في اندماجها السريع.[1]

وتعود بعض هذه الهجرات إلى اضطرابات الحكم في المغرب، خاصة خلال فترات النزاع بين السعديين والعلويين، حيث لجأت بعض الأسر المنتمية إلى النخبة الدينية والسياسية إلى الجزائر، مستفيدة من الاستقرار النسبي الذي وفرته الإدارة العثمانية. وقد شكّلت هذه الهجرات فرصة لتعزيز الروابط الاجتماعية، إذ سرعان ما انخرط أفراد هذه العائلات في الأنشطة العلمية والتجارية والدينية المحلية، وأقاموا علاقات مصاهرة مع الأسر الجزائرية، مما زاد من تقارب المجتمعين.[2]

كما ساعد التداخل بين العائلات العلمية في خلق نخب مزدوجة الانتماء، تشترك في المرجعية الثقافية والدينية. فقد احتفظت بعض العائلات بأواصرها الممتدة عبر الحدود، وكانت تتبادل الزيارات والكتب والمراسلات، مما ساعد على نقل الأنماط الاجتماعية والعادات بين البلدين، وأنتج ثقافة مغاربية متقاربة في أنماط الزواج، وأنظمة الوراثة، وقواعد السلوك الأسري.[3]

المطلب الثاني: الأسواق الموسمية والتنقل التجاري والاجتماعي

أدّت المبادلات التجارية بين الجزائر والمغرب إلى تشكّل شبكة من التفاعلات الاجتماعية تجاوزت الأطر الاقتصادية، وشكّلت نسيجًا اجتماعيًا متداخلًا، خصوصاً في المناطق الحدودية الغربية مثل تلمسان ووجدة. فقد كانت الأسواق الموسمية، المعروفة

(1)- عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا العام، تر: محمد الصغير غانم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985، 205.

(2)- أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ، دار الغرب الإسلامي،بيروت ، 198)، 167.

(3)- محمد حجي، المرجع السابق، ص411.

بـــ"المواسم"، تجمع تجاراً ومزارعين وحرفيين من البلدين، وكانت تمثل منصّات للتعارف، وتبادل الأخبار، وإبرام المصاهرات، فضلًا عن كونها فرصة لنسج علاقات الثقة والتضامن الاجتماعي.[1]

وقد ساعدت القوافل التجارية التي تنقلت بين فاس وتلمسان ومراكش والجزائر العاصمة في ربط الناس ببعضهم البعض، سواء عبر التبادل المادي أو عبر نقل العادات والتقاليد، كما لعبت الطرق الصوفية، التي كانت ترتبط بالمراكز التجارية والزراعية، دوراً في تعزيز هذا التفاعل الاجتماعي، إذ كانت زواياها تستضيف القوافل وتقدّم الضيافة للزوار، وتربط بينهم من خلال الروابط الروحية والاجتماعية.[2]

وكان لموسم "سيدي عبد القادر الجيلاني" وموسم "سيدي بومدين" بتلمسان، وغيرهما من المناسبات الدينية المشتركة، دورٌ كبير في جمع الناس من مختلف الأقاليم المغاربية، وإرساء ثقافة احتفالية ودينية مشتركة، وقد تحولت هذه المناسبات إلى مواعيد منتظمة للتبادل الاجتماعي، يتم فيها إبرام عقود الزواج، وتسوية الخلافات، وتأسيس شراكات اقتصادية وثقافية طويلة المدى.[3]

المطلب الثالث: العادات والتقاليد المشتركة بين الجزائر والمغرب الأقصى

تُعد العادات والتقاليد من أبرز أوجه التعبير الثقافي لأي مجتمع، وتشكل الممارسات اليومية المتعلقة بالمأكل والمشرب والمناسبات الاجتماعية جزءًا أصيلًا من الهوية الجماعية. وفي هذا السياق، نجد أن سكان الجزائر والمغرب الأقصى يتقاسمون عدداً كبيراً من العادات التي تجذرت في ثقافتهم الشعبية خلال العهد العثماني وما قبله.

(1)- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، دار الغرب الإسلامي،بيروت،1997، ص 328.

(2)- نور الدين الزاهي، الزوايا والطرق الصوفية في المغرب ، أفريقيا الشرق،الدار البيضاء، 2002، ص214.

(3)- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3 ، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1998، ص 97.

فعلى مستوى العادات الغذائية، يتناول سكان المغرب الأقصى اللحم الطري بمعدل مرتين أسبوعيًا، وتُقسم وجباتهم اليومية إلى ثلاث: وجبة صباحية خفيفة مكونة غالبًا من الخبز والفواكه، ثم وجبة رئيسة في المساء تعتمد على دقيق القمح أو الحساء، خاصة في فصل الشتاء. كما يُعد طبق الكسكس أبرز الأطعمة التقليدية، حيث يُطهى اللحم والخضروات في إناء مثقوب يعرف بـــ"الكسكاس" ويوضع فوق قدر يغلي فيه الماء بالبخار. وتشترك الجزائر مع المغرب في هذا التقليد، إذ يُعد الكسكس طبقًا رئيسيًا كذلك، ويحضّر من عجين شبيه بالعجينة المستخدمة في صنع المعكرونة، ويُقدم غالبًا مع اللحم والخضر أو الحمص.[1]

إضافة إلى ذلك، يُشكل كل من الخبز، ولحم الضأن، والزيتون، والفواكه والخضروات عناصر غذائية أساسية في المطبخ المغاربي المشترك [2]، أما فيما يتعلق بالمشروبات، فقد أشار وليام شالر، القنصل الأمريكي في الجزائر في القرن التاسع عشر، إلى أن القهوة كانت تُعتبر مشروبًا فاخرًا في المجتمع، في حين كان عامة الناس يكتفون بشرب الماء، ويمتنعون عن استهلاك الخمر لأسباب دينية.[3]

من حيث آداب المائدة، فقد كان من عادات سكان المنطقة تناول الطعام جماعيًا على الأرض فوق موائد منخفضة، من دون استخدام مفارش أو أدوات مائدة، حيث يتناول الجميع الطعام من نفس الصحن بأيديهم، في تقليد يعكس روح التضامن والعيش الجماعي.[4]

أما فيما يخص العادات الاجتماعية المتعلقة بالزواج، فكان من المعتاد أن يُنظَّم عقد القران في المسجد بحضور الأب والعدلين وعدد من الشهود، حيث يُحدد مقدار الصداق

(1)- منصور درقاوي، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين (10هـ - 13هـ / 16م - 19م) بين التأثير والتأثر، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2014-2015، ص93.

(2)- حسن الوزان، المرجع السابق، ص ص252-253.

(3)- وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824م)، تر: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص87.

(4)- حسن الوزان، المرجع السابق، ج1، ص ص253-254.

وشروط الزواج بحضور العروسين. وكان العريس يقدم مجموعة من الهدايا للعروس، تتضمن ثلاثين مثقالًا من النقود، وقطعة من قماش الحرير والكتان، وحذاءً مطرزًا، وزوجين من القباقيب، وحُليًا من الفضة، ومجموعة من الأمشاط والعطور والمراوح المزخرفة

وفي الجزائر، كانت طقوس الصداق مشابهة من حيث تقديم مبلغ نقدي يختلف حسب الإمكانيات المادية، ويُضاف إليه مكونات رمزية مثل الصوف، والقفطان، والغليلة، والجوهر، وهي عناصر تحمل دلالات ثقافية واجتماعية متوارثة.[1]

وفي ختام مراسم الزواج، يُقام ما يُعرف بـــ"موكب الخشب"، وهو موكب احتفالي على هيئة ثمانيّة الأضلاع مغطاة بالأقمشة الحريرية، ويجوب السوق الكبير برفقة مشاة يحملون مشاعل ومزامير وطبول وأبواق. يعقبه تنظيم مأدبة كبرى تُذبح فيها العجول وتُنصب الموائد، ويحضرها الأقارب والأصدقاء في أجواء احتفالية تعكس الروابط الاجتماعية والبهجة الجماعية.[2]

إن هذه العادات المشتركة بين الجزائر والمغرب الأقصى تؤكد تقاطعًا ثقافيًا راسخًا تشكل عبر قرون من التواصل الاجتماعي والتفاعل الحضاري، وعززته وحدة المذهب المالكي واللغة والدين والتاريخ المشترك، ما جعل من المغرب الكبير فضاءً ثقافيًا موحدًا رغم التحديات الجغرافية والسياسية.

(1)- عائشة غطاس، المرجع السابق، ص247.

(2)- حسن الوزان، المرجع السابق، ج1، ص255-257.

خاتمة

بعد دراسة متعمقة للعلاقات بين الجزائر والمغرب خلال الفترة 1519–1799م، يمكن استخلاص جملة من النتائج التي تكشف عن طبيعة هذه العلاقات وتعقيداتها من بينها:

اتسمت العلاقات بين البلدين بازدواجية واضحة، تجسدت في تعايش الصراع السياسي والعسكري على النفوذ والحدود مع استمرار التبادل الاقتصادي والثقافي عبر الشبكات المحلية والقبلية. وهذا يؤكد أن الروابط الاجتماعية كانت أكثر متانة من الصراعات السياسية العابرة، وأن المصلحة المشتركة ظلت حافزاً أقوى من الخلاف الأيديولوجي.

لم تكن هذه العلاقات محصورة في الإطار المحلي، بل تأثرت بشكل كبير بالتطورات في المحيطين العثماني والأوروبي، فقد شكّل التهديد الأوروبي المشترك عامل ضغط دفع البلدين نحو التعاون في فترات عدة، في حين أدى التنافس العثماني–السعدي (ثم العلوي) إلى تأجيج المنافسة السياسية بين الجانبين، كما برهنت الدراسة أن الهوية الإسلامية المشتركة مثلت عامل توحيد خفيّ، ساهم في تخفيف حدة الصراعات السياسية ووفر أرضية للتقارب في لحظات التهديد الخارجي. وهو ما يثمر عن أهمية البعد القيمي في صياغة العلاقات بين الدول ذات الإرث الحضاري المشترك.

أظهرت الوقائع التاريخية أن التواصل الاقتصادي والاجتماعي استمر عبر القنوات غير الرسمية(كالتجارة والطرق الصوفية) رغم التوترات الرسمية، مما يدل على قدرة المجتمعات على الحفاظ على مصالحها بعيداً عن تقلبات السياسة كما إن الفهم السليم للعلاقات التاريخية في المغرب العربي يتطلب تبني مقاربة متعددة المستويات، لا تقتصر على السجال السياسي والعسكري بين الحكومات، بل تشمل التحليل الاقتصادي والاجتماعي والثقافي كأبعاد مكملة وحيوية العلاقات التاريخية بين الجزائر والمغرب لا يمكن وصفها بأنها عداء دائم أو وفاء دائم، بل هي علاقة ديناميكية مركبة، يحكمها منطق المصالح المتغيرة والظروف الإقليمية، مما يدعو إلى تجاوز القراءات التبسيطية.

الملاحـــــق

ملحق (1) : خريطة المغرب الأقصى في العهد المريني حسب تصور الحسن الوزان .

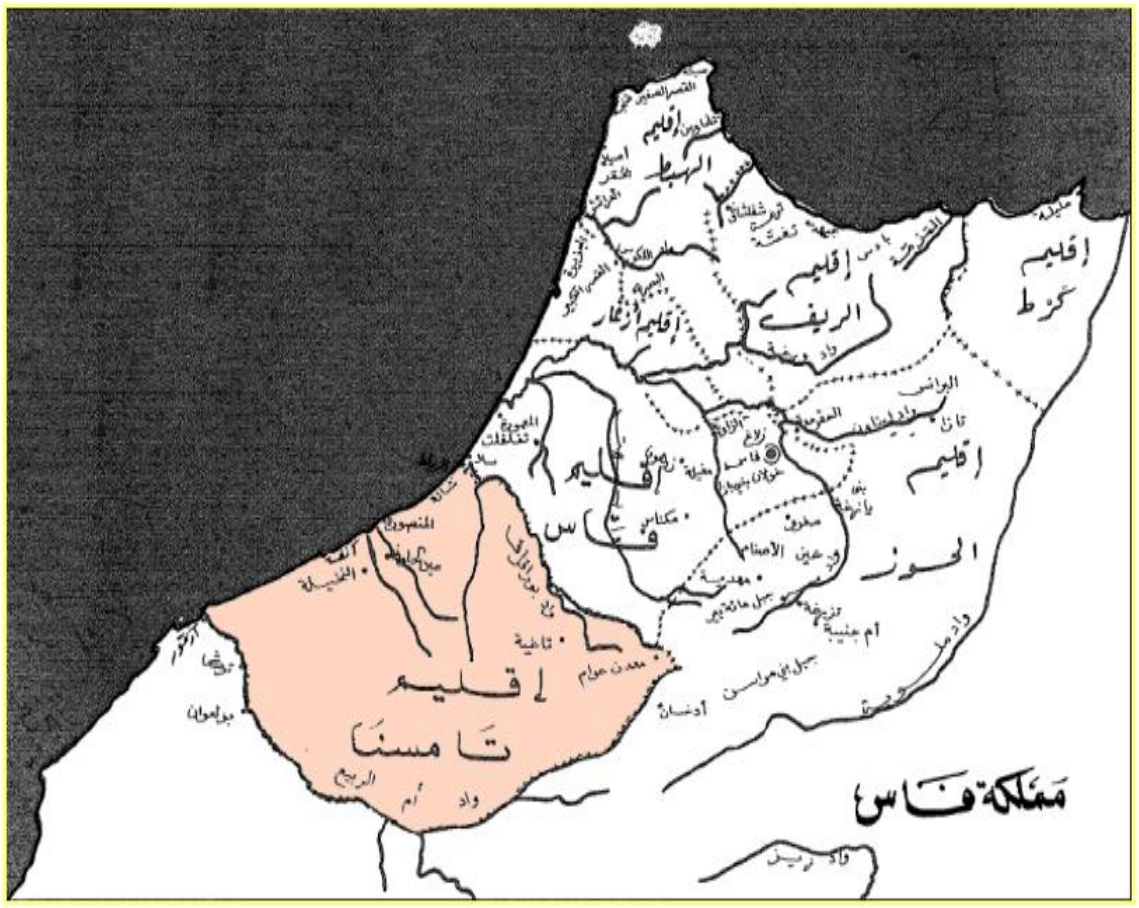

المصدر : **الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج: 01 ،مد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، ج2 ، 1983م ص: 192.**

ملحق (2) :خريطة توضح حدود دولة الزيانيين كما تصورها الحسن الوزان

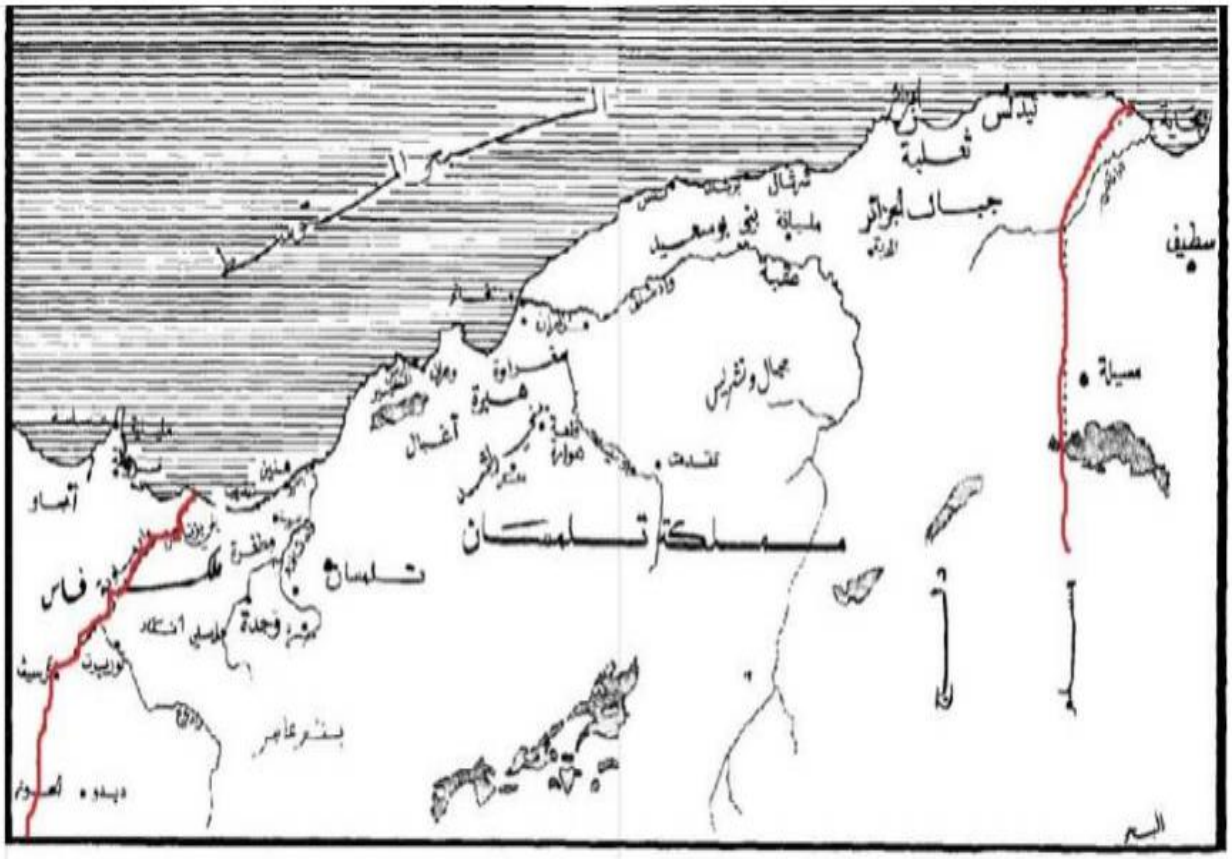

مملكة تلمسان

المصدر: الحسن الوزان، المرجع السابق، ص 6.

قائمة المصادر

والمراجع

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر العربية

1. ابن بطوطة، *تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، مراجعة: مصطفى القصاص، ط1، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987.
2. ابن سودة، عبد السلام بن عبد القادر، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى (دليل ابن سودة)*، ط1، دار الفكر، بيروت، 1997.
3. ابن غازي محمد العثماني، *الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون*، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1988.
4. أحمد المنجور، *فهرس أحمد المنجور*، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب، الرباط، 1976.
5. الأفراني، محمد الصغير، *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي*، تحقيق: هوداس، مطبعة بردين، إنجي، 1888.
6. بك عبد الحميد ،أعيان من المشرق والمغرب (تاريخ عبد الحميد بك)، تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000 .
7. الوزان، حسن، *وصف إفريقيا*، ترجمة: محمد حجي، ج1–2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
8. وليام ، سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر،1985. محمد بن يوسف الزياني، *دليل الحيران وأنيس السهران*، تحقيق: المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2003.
9. الناصري، أحمد بن خالد، *الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى*، ج5–6، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955.
10. عبد الرزاق بن حمدوش، *لسان المقال في النبأ عن النسب والحال*، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

11. الفكون، محمد بن محمد عبد الكريم، *منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية*، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1987.

12. القلصادي، *رحلة القلصادي*، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس: الدار العربية للكتاب، 1981.

ثانيا : المصادر الأجنبية:

1. Adrien Berbrugger, *Reprise d'Oran par les espagnols, en 1732*, Revue Africaine, vol. 8, année 1864, pp. 14–16.
2. Diego de Haëdo, *Topographie et histoire générale d'Alger*, traduit par Monnereau et A. Berbrugger, Paris, 1870 (imprimé à Valladolid en 1612).
3. Enrique García Hernán, *España y el norte de África*, Madrid: CSIC, 2006.
4. Eugène Plantet, *Correspondance des deys d'Alger avec la cour de France (1579–1833)*, vol. I, Paris.
5. Henri de Castries, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*, vol. 2, Imprimerie Ernest Leroux, Paris, 1909.
6. Léon Galibert, *L'Algérie ancienne et moderne*, Paris, 1844.
7. L. Arnaud, "Histoire de l'ouali Sidi Ahmed El Tidjani", *Revue Africaine*, N°5, Alger 1861.
8. Raymond Thomassy, *Le Maroc*, Paris, 1859.
9. Spencer William, *Les Corsaires de Salé*, Paris, 1948.

ثالثا: المراجع العربية

1.ابن الطيب القادري محمد ، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب ،1978.

2.بابا التنبكتي أحمد ، *نيل الابتهاج بتطريز للديباج*، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط2، دار الكتاب، طرابلس، 2000.

3. بوشرب أحمد، البحر في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الحسن الثاني،2013

4.الجيلالي، عبد الرحمن،*تاريخ الجزائر العام*، ج2–4، دار الأمة للنشر، الجزائر، 2009 .

5.الجميعي ،عبد المنعم ،الدولة العثمانية والمغرب العربي، دار الفكر العربي، للقاهرة، 2007،.
6. الزاهي، نور الدين، *الزوايا والطرق الصوفية في المغرب*، أفريقيا الشرق، 2002.
الزبيري، محمد العربي، *التجارة الخارجية للشرق الجزائري*، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.
7. حجي، محمد، الحياة العلمية والفكرية في المغرب خلال العهد السعدي ، دار النشر المغربية، الرباط ، 1976.
8.حركات، إبراهيم، *المغرب عبر التاريخ*، ج2–3، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1978 .
9. كربخال مرمول ، إفريقيا، ترجمة محمد وآخرين، ج2، مكتبة المعارف، الرباط، 1984.
10. لبصير، بوزياني، *الجزائر في القرن السادس عشر*، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
11. مؤنس، حسين،، تاريخ المغرب وحضارته، الجزء الثاني، دار العصر الحديث، ، بيروت ، 1992.
12. ساحلي أوغلي، خليل، *من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني*، إرسِيكا، إسطنبول، 2000 .
13. سعد الله، أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1998
14. ____
______، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2 ، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1998
15. ____
______ ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3 ، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1998.
16. فيلالي مختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني ، دار الفن الغرافيكي للنشر والتوزيع،الجزائرن د.ت.
17. القبلي محمد ، المغرب الوسيط: *المغرب الوسيط، تاريخ المغرب – تحيين وتركيب*، مطبعة عكاظ، الرباط، 2011 .

18. ـــ

ـــــــــــــــــــ، القبلي، محمد، *المغرب الوسيط*، *تاريخ المغرب – تحيين وتركيب*، مطبعة عكاظ، الرباط، 2011.

19. رزوق ، محمد ، الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 – 17م، ط3 ، أفريقيا الشرق، الرباط – المغرب1998م.

20. بن خروف ، عمار ، العلاقات الجزائرية المغربية خلال العهد العثماني (1519–1830)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991.

21. الشنقيطي أحمد بن الأمين ، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ، دار الغرب الإسلامي،بيروت ، 1984.

22. شاكر، محمود، *التاريخ الإسلامي: العهد العثماني*، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000.

23. شالر ، وليام ، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816–1824م)، تر: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

24. التازي،عبد الهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم, ج9، مطبعة فضالة، الدار البيضاء، 1988.

25. توفيق المدني ،أحمد ، الجزائر في ظل الحكم العثماني، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.

26. ـــ،

حرب الثلاث مائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.

27. الثعالبي، عبد العزيز، *تاريخ شمال إفريقيا العام*، ترجمة: محمد الصغير غانم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

28. الغنيمي، عبد الفتاح، موسوعة *تاريخ المغرب العربي*، مج. 5، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994.

رابعا: المراجع الأجنبية:

1. Kenneth Brown, "Histoire de la ville de Salé (1000–1800)", traduit par Mohammed Jida& Anas Lahlou, *Revue Amal*, Casablanca, 2001.

خامسا: الرسائل الجامعية

1. بقادي، مسعود، *هجرة علماء تلمسان إلى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 16م*، مذكرة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، 2013–2014.
2. بن خروف، عمار، *العلاقات بين الجزائر والمغرب 923هـ/1517م – 1069هـ/1659م*، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة دمشق، 1983 .
3. درقاوي، منصور، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين (10هـ – 13هـ / 16م – 19م) بين التأثير والتأثر، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2014–2015 .
4. هلال، عمار، "العلماء الجزائريون في فاس"، *مجلة الدراسات التاريخية*، العدد 9، الجزائر، 1995 .
5. غطاس، عائشة، "الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر 1700–1830م (مقاربة اجتماعية – اقتصادية)"، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2000–2001.

سادسا: المقالات العلمية

1. براون كينيث ، " تاريخ مدينة سلا1000– 1800م " ، تر: محمد جيدة، أناس لعل ، **مجلة أمل للتاريخ والثقافة والمجتمع**، العدد الرابع عشر، دار البيضاء، المغرب، 2001م.
2. بوشنافي محمد ، "مساهمة عروج بن يعقوب في مواجهة الخطر الإسباني على المغرب الأوسط (1512–1519م)"، **مجلة عصور**، العدد 4–5، جامعة وهران 1 "أحمد بن بلة " في الجزائر، ديسمبر 2003 / جوان 2004م.
3.هلال عمار ، "العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين"، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد 9، الجزائر، 1995.

4.شلالي عبد الوهاب ، " الخطر الصليبي الاسباني على الدولة الجزائرية ودور العثمانيين في التصدي له" ، **مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية**، العدد الثاني عشر ، جامعة تبسة ، 2016.

5. التمىمي عبد الجلىل، " أول رسالة من أهالي مدىنة الجزائر إلى السلطان سلىم الأول سنة 1519" ، **المجلة التارىخىة المغاربىة**، العدد 5، تونس، جانفي 1976.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الواجهة	/
البسملة	/
الشكر والعرفان	/
الاهداء	/
قائمة المختصرات	/
مقدمة	أ
الإطار المنهجي للدراسة	ج
دوافع اختيار الموضوع	ج
أهداف الدراسة	د
إشكالية الدراسة	د
المنهج المتبع	د
الهيكل العام للدراسة	ه
الدراسات السابقة	ه
الصعوبات المعترضة	ر
الفصل الأول: أوضاع الجزائر والمغرب الأقصى قبل 1519 م	
المبحث الأول: الوضع السياسي في الجزائر	9

1 – تفكك الدولة الزيانية	**9**
2– السيطرة الإسبانية على المواقع الساحلية	**9**
3– تحالف الحكام المحليين مع الأسبان:	**11**
المبحث الثاني: الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى	**17**
1– الفراغ السياسي والتوسع الإسباني:	**17**
2– الصراع الوطاسي السعدي:	**18**
3– الصراع السعدي الوطاسي في عهد أحمد الأعرج السعدي:	**18**
4– التحديات الداخلية	**21**
الفصل الثاني: العلاقات السياسية والاقتصادية بين الجزائروالمغرب الأقصى 1519–1799	
المبحث الأول: العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال العهد العثماني	**27**
أ. العلاقات خلال عهد أبناء المنصور (1012هـ–1069هـ/1603م–1659م)	**27**
ب. العلاقات بين حكام الجزائر الباشاوات وحكام المغرب بعد المنصور	**28**
ج. العلاقات في العقود الخمسة الأولى من القرن الحادي عشر هـ/القرن السابع عشر م	**28**
د. دور القوى المغربية المحلية الأخرى	**29**
هـ. العلاقات مع الدولة العلوية	**30**
و. تأثير القوى الأوروبية	**31**
ز. تحديد ورسم الحدود	**31**

المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية	**32**
المطلب الأول: العلاقات التجارية	**32**
الفصل الثالث: العلاقات الثقافية و الاجتماعية بين الجزائر و الغرب 1519-1799	
المبحث الأول: العلاقات الثقافية	**41**
المطلب الأول: التبادل العلمي والديني بين العلماء والمؤسسات العلمية	**41**
المطلب الثاني: حركة العلماء الجزائريين بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال العهد العثماني ودورها في توثيق العلاقات الثقافية	**47**
المبحث الثاني: العلاقات الاجتماعية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال العهد العثماني (1519–1799م)	**49**
المطلب الأول: الهجرة والتزاوج بين الأسر والنخب	**49**
المطلب الثاني: الأسواق الموسمية والتنقل التجاري والاجتماعي	**50**
المطلب الثالث: العادات والتقاليد المشتركة بين الجزائر والمغرب الأقصى	**51**
خاتمة	**55**
قائمة المصادر والمراجع	**58**
الملاحق	**63**
فهرس المحتويات	**67**
الملخص	**/**

ملخص

يتناول هذا البحث تطور العلاقات بين الجزائر والمغرب خلال الفترة الممتدة من 1519م إلى 1799م، وهي مرحلة اتسمت بتقلبات سياسية وعسكرية وتفاعلات اقتصادية وثقافية. يسلط البحث الضوء على ديناميكية هذه العلاقات التي تأرجحت بين الصراع والتعاون، في ظل تأثيرات إقليمية ودولية، خصوصاً من قبل الدولة العثمانية في الجزائر والتطورات الأوروبية. يبرز التحليل أن الروابط الحضارية والدينية واللغوية ساهمت في استمرار التفاعل بين الطرفين رغم الخلافات السياسية، ويستخلص أن فهم هذا الماضي المشترك قد يساعد في بناء مستقبل تعاوني أكثر استقراراً في المنطقة المغاربية.

الكلمات المفتاحية:الجزائر، المغرب، الدولة العثمانية، العلاقات المغاربية، التاريخ المغاربي، 1519–1799.

Abstract

This study examines the evolution of relations between Algeria and Morocco from 1519 to 1799—a period marked by political and military tensions alongside economic and cultural interactions. The research highlights the complex and dynamic nature of these relations, oscillating between conflict and cooperation, under the influence of regional and international powers, particularly the Ottoman Empire and European developments. The analysis reveals that historical, religious, and linguistic ties maintained interaction despite political rifts, suggesting that a deeper understanding of this shared history may contribute to fostering more stable and cooperative regional relations in the Maghreb.

Keywords:

Algeria, Morocco, Ottoman Empire, Maghreb relations, Maghrebi history, 1519–1799.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People'sDemocraticRepublic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: العلاقات الجزائرية المغربية في العهد العثماني من 1519م حتى نهاية القرن 19م.

إعداد الطلبة:

1- فايد مريم رقم التسجيل: UN2801202408085087268

2- ..... رقم التسجيل: .....

القسم: تاريخ الشعبة: تاريخ التخصص: تاريخ الجزائر الحديث.

إشراف: الاستاذ كهير عامر الرتبة: أستاذ مساعد -أ-

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2024-2025 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة):

رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People'sDemocraticRepublic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2024

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي (ة) ادناه :

السيد(ة): فايد مريم

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 102228141

الصادرة بتاريخ : 2016/12/06 عن دائرة : حمام الضلعة

المسجل(ة) بكلية: العلوم الانسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: التاريخ الحديث تحت رقم التسجيل: UN2801202408085087268

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه)

عنوانها: العلاقات الجزائرية الغربية في العهد العثماني من 1519م حتى نهاية القرن 19م.

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور أعلاه

المسيلة في: 2025/10/02

امضاء المعني (ة):

شوهد على التوقيع
السيد .....
بتاريخ: 02-10-2025

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها